القوة الناعمة الإيرانية



اسامة عبد الرحمن

القوة الناعمة الإيرانية



اسامة عبد الرحمن

مقدمة

منذ زمن غير بعيد بدأ السياسيون يتداولون مصطلحين جديدين هما القوة الناعمة والقوة الصلبة وزاد استخدامهما بعد الأحداث السياسية والتغيرات في المنطقة العربية، وبعد احتلال أفغانستان والعراق والقوة الناعمة أو الليّنة،مصطلح سياسي حديث العهد، كان عرفه الفلاسفة والسياسيون القدماء بتعريفات متعددة منها مثلاً التأثير والإقناع والثقافة والنموذج ويرى ميشيل فوكو، أن القوة الناعمة تتضمن إجباراً وإلزاماً غير مباشرين، تعتمد في ظهورها على القوة الخشنة أو الصلبة وتقوم بأعمال تعجز القوة الصلبة عن القيام بها والقوة الناعمة ليست دعاية سياسية، بل هي سجال عقلي يهدف إلى التأثير على الرأي العام داخل الدولة وخارجها.

وتعني القوة الناعمة من وجهة نظر جوزيف ناي، القدرة علي الحصول على ما نريد من خلال الجذب بدلاً من القسر أو الدفع وهي أحد مصادر التأثير وهي الإغراء والجذب والقوة الصلبة، تعني القوة المشتركة السياسية والاقتصادية والعسكرية ، أي القوة في صورتها الخشنة التي تعني الحرب، التي تستخدم فيها الجيوش وتعني هذه القوة الدخول في مزالق خطرة، ونتائجها في منتهى الخطورة على الدولة ذاتها،كما حدث في الحرب العالمية الثانية ، بين اليابان وألمانيا النازية

وبيَّنت الدراسات للباحثين الاستراتيجيين والمفكرين،أن القوة الناعمة مصطلح يستخدم في نطاق نظريات العلاقات الدولية ويشير إلى توظيف ما أمكن من الطاقة السياسية، بهدف السيطرة على سلوك واهتمامات القوى السياسية الأخرى المستهدفة بوسائل ثقافية وأيديولوجية ولكن ما مغزى القوة الناعمة، وماذا تشمل من أعمال مخططة ومنظمة؟٠

إن الغاية من القوة الناعمة تدمير الطاقة السياسية للدول المستهدفة، بهدف الهيمنة والسيطرة على القدرات والمقومات السياسية لدى الآخر المستهدف،أي الغزو الثقافي والأيديولوجي، وتحويل البلد إلى بلد مسيطر عليه، دون أن تظهر هوية الفاعل الحقيقي وهذا الفاعل الحقيقي أصبح معروفاً ومتداولاً في الساحة السياسية الدولية، وهو الولايات المتحدة الأمريكية ٠

وفى الفترة الأخيرة نشطت إيران فى المنطقة العربية ووضعت يدها على مناطق عدة منها كالجزر فى الخليج العربى ومنطقة الأحواز العربية وتساعد حزب الله فى لبنان وقد أحرز انتصاراً حاز إعجاب كثير من العرب لأنه شغل الحيز الذى كان من المفروض أن تشغله القوة العربية فى مواجهة إسرائيل فى الوقت الذى تخلى فيه الجميع عن القضية الفلسطينية كما أن إيران تحاول تطويق الجزيرة العربية بمساعدة الحوثيين فى اليمن لتسيطر على باب المندب وتبذل جهداً فى مساندة

القضايا العربية الكبرى لتحل محل القوة العربية الكبرى فى الذهن العربى وبذا تكون محل اعجاب العرب خاصة الشباب منهم وبهذا يمكن للمد الشيعى ان يتوسع على حساب السنة كما حدث فى العراق وتسعى لتكراره فى سوريا ٠

وسوف نتعرض للقوة الناعمة عموماً ثم للقوة الناعمة والايرانية تحديداً وأدواتها ومصادرها ونطاق استخدامها كما سنتعرض للقوة الناعمة المواجهة لإيران ثم نماذج من قوة إيران الناعمة ومدى فشلها والدروس المستفادة من التجربة الإيرانية فى مجال القوة الناعمة واستخدامها لنشر الفكر الشيعى واستعادة أمجاد الامبراطورية الفارسية على حساب العرب والمسلمين السنة٠

المؤلف



الباب الأول

تعاريف ومفاهيم

القوة الناعمة: مصطلح صاغه في تسعينيات القرن الماضي جوزيف ناي على أنها: القدرة على الحصول على ما يُراد عن طريق الجاذبية، بدلاً من الإرغام أو دفع المال فهى تستخدم نوع مختلف من العمل ليس القسر ولا المال لتوليد التعاون،وهو الانجذاب إلى القيم المشتركة، والعدالة، ووجود إسهام في تحقيق تلك القيم والقدرة على التأثير في سلوك الآخرين للحصول على النتائج والأهداف بدون الاضطرار إلى الاستعمال المفرط للوسائل العسكرية والصلبة، وهذا ما حدث مع الاتحاد السوفييتي حيث تم تقويضه من الداخل، لأن القوة لا تصلح إلا في السياق الذي تعمل فيه، فالدبابة لا تصلح للمستنقعات،والصاروخ لا يصلح لجذب الآخرين نحونا وهى مفهوم مركب، فالنعومة في الحقيقة أصعب في تعريفها من الصلابة، وعلاقتها بالتاريخ والذاكرة وبالأبعاد النفسية والثقافة أعظم أثرًا من فكرة السيطرة والهيمنة والتحكم البسيطة الصريحة التى قامت عليها فلسفة الدولة القومية بعد صلح وستفاليا في أوروبا في القرن السابع عشر ونمو مفهوم القوة الناعمة إقرار بأن العقلانية النفعية التي لا تعرف إلا حسابات القوة المادية لا تكفي وحدها لإدارة علاقات السلطة والحكم الداخلي أو الجوار السلمي أو الصراع الخارجي وهي في الغالب تعمل في إطار التبادل والتوافق مع أدوات القوة الصلبة الاقتصادية والسياسية والعسكرية، وإلا كانت النعومة مرادفة للضعف والعجز، فلا تكون بذلك خياراً بل تكون اضطراراً، وهو

ما يفقدها في الغالب قوتها ، فتندرج تحت بند العلاقات العامة أكثر منها العلاقات السياسية بمعناها المركب،وتنأى عن العلاقات الدولية بالمفهوم العلمي الدقيق أما عن التعريف الأمريكي فقد عرّفها مايكل آيزنشتات الباحث المتخصص في الدراسات الأمنية بأنها استخدام الأقوال والأفعال والصور الإنفعالية كجزء من حملة تواصل إستراتيجي طويلة المدى[١] لتشكيل الحالة النفسية لبلد معادٍ لأمريكا وأن نسبة الأقوال والتصريحات الإعلامية يجب أن تشكل٢٠ % من حملة التواصل الناعمة، ويتشكل الباقي من برامج وأفعال وتحركات ملموسة على الأرض في حين جنح جوزيف ناي نحو التعريف الدبلوماسي تاركاً الجانب التطبيقي للأجهزة والوكالات ومراكز الأبحاث وتنشأ القوة الناعمة من الجاذبية الثقافية لبلد ما،والمثل السياسية التي يحملها،والسياسات التي ينتهجها في الواقع،وعندما تبدو السياسات الأمبريالية مشروعة فى نظر الآخرين يتسع نطاق القوة الناعمة وعندما نجعل الآخرين يعجبون بالمُثل التي نؤمن بها، ونجعلهم يريدون ما نريد فإننا لن نضطر إلى الإنفاق على عوامل الإرغام العسكري والإغراء الاقتصادي ومن أهم المثل الأمريكية التي لها قدرة على تحريك وجذب الآخرين نحونا الديمقراطية وحقوق

١- دراسة منشورة تحت عنوان دور القوة الناعمة في الحرب النفسية على إيران للباحث مايكل آيزنشتات

الإنسان وإتاحة الفرص للأفراد والقوة تنقسم إلى ثلاثة أشكال وأنواع هى القوة الاقتصادية والقوة الصلبة العسكرية والقوة الناعمة وعلى هذا الأساس فالقوة الصلبة لا تنفصل عن القوة الناعمة والقوة الاقتصادية، فهذه القوى الثلاث تشكل أبعاد وزوايا القوة والتفوق والهيمنة والسيطرة في السياسة الدولية٠

مفاهيم القوة

ورد في المعجم الوسيط أن القوة ضد الضعف وهي الطاقة، وتمكن الإنسان من أداء الأعمال الشاقة، والمؤثر الذي يغير حالة السكون ومبعث النشاط والحركة والنمو وجمعها قوىَ وهي مصطلحٌ جديدٌ في الاستعمال العالمي، وعلى الرغم من مشابهتها في المضمون لمصطلحات أخرى كانت تستخدم للتعبير عنها بأشكال مختلفة كحرب المعنويات، وغسل العقول، والغزو الثقافي ،والحرب السياسية فإنَّ الحرب الناعمة هي التي تستخدم القوة الناعمة وفي رأي كارل فريدريك أفضل تعريف للقوة :هي القدرة على إنشاء علاقة تبعية؛ فعند القول إن لإنسان ما قوة سياسية تفوق قوى الآخرين، فهذا يعني أن الآخرين يتبعون نظام أفضلياته، القوة ليست مجرد التسلط، ولكنها تتضمن أيضاً القدرة على الاستمالة والنفوذ لدى الآخرين ويرى سبيكمان أن القوة تعني البقاء على قيد الحياة، والقدرة على فرض الإرادة على الآخرين، والمقدرة على إملاء هذه الإرادة على أولئك الذين لا قوة لهم،وإمكانية إجبار الآخرين

ذوي القوة الأقل على تقديم تنازلات وعرفها ميكيافيللي وهوبز بأنها الوسيلة والغاية النهائية التي تعمل الدولة للوصول إليها في علاقاتها الخارجية وعرفها ستوسنجر بأنها قدرة الشعب على استعمال موارده الماديةوغير المادية بطريقة تؤثر في سلوك الشعوب الأخرى تجاهها ٠

وتعني القوة الناعمة اصطلاحاً أن يكون للدولة قوة روحية ومعنوية من خلال ما تجسده من أفكار ومبادئ وأخلاق ودعم في مجالات حقوق الإنسان والبنية التحتية والثقافة والفن، مما يدفع الآخرين إلى احترام هذا الأسلوب والإعجاب به ثم اتباع مصادره ،وغالباً مايطلق هذا المصطلح على وسائل الإعلام الموجهة أو مايسمى بالإعلام الموجة لخدمة فكر ما،وتعتبر القوة الناعمة من أفضل الأسلحة السياسية العسكرية إذ تستطيع السيطرة على الآخرين وأن تجعلهم يتضامنون معك دون أن تفقد قدراتك العسكرية٠

<u>خصائص مفهوم القوة</u>

القوة مفهوم يتمتع بعدد من الخصائص أبرزها:

ـ القوة شيء نسبي لأن قوة الدولة تقاس بمقارنتها بالدول الأخرى٠

ـ القوة مفهوم حركي ديناميكي غير ثابت فترتيب الدولة من حيث القوة بين الدول مرهون بوقت قياس هذه القوة والمجال المستخدمة فيه٠

--تتدرج ممارسة القوة بين التأثير بالطرق السلمية وبين أسلوب الإجبار والقسر .

ويمكن التمييز بين ثلاثة أنواع من القوة:

القوة الناعمة : وهي ذلك النوع من القوة التي تركز على الوسائل الدبلوماسية والسلمية في تحقيق أهدافها، وهناك بعض الكتاب يسميها بالقوة التعويضية.

القوة المشروطة: وتتضمن الوعد مقابل تغيير المواقف والاستجابة للمتطلبات.

القوة القسرية : وهي التي تمارس على الآخر، وتحقق إذعانه بالقهر والإرغام والتهديد وهي الأكثر وضوحاً في القوة المعاصرة، وتفسر إذعان الشعوب لنظام اقتصادي أو سياسي .

كيف نفهم القوة الناعمة؟

طرح مركز البحوث والدراسات الاستراتيجية التابع للجيش اللبناني عنواناً مهماً وهو الستاتيكو المرتقب في الشرق الأوسط في ضوء المتغيرات والتسويات المحتملة: شرعية أنظمة الحكم وركائز النظام الإقليمي الجديد، خصوصاً بعد الربيع العربي في بعض البلدان العربية، ومن المهم ملاحظة أوضاعها، وأوضاع بلاد أخرى في المنطقة نفسها.

وهذا دور محمود للجيش الذي يفتح نوافذه ونوافذ للآخرين للإطلال

المتبادل ومناقشة وليس معالجة عدد من القضايا الأكثر أهمية في المنطقة لتكوين وعي متقارب فيها والدول العربية في دولة مجلس التعاون، تقع في مكان الأهمية في الوطن العربي ولقد أوضح متخصصون إلى أهمية أن تستخدم دول الخليج العربية ما لديها من قوة مالية لتركن إليها، كقوّة ناعمة يمكن من خلالها أن تؤدي دوراً أكثر تأثيراً على المستوى العربي والعالمي غير أن القوة الناعمة كما عرّفها جوزيف ناي،لا تأتي بمعزل عن القوة الصلبة أو الخشنة ، إذ ما هي إلا الوجه الآخر للقوة الصلبة، التي يظهرها المتمكن والواثق من قدراتها على الردع والتهديد والترهيب والقوة الناعمة هي تلك الابتسامة التي يواجهك بها خصمك القوي وهو يمسك بيده الهراوة من وراء ظهره، يخفيها ولكنك تعلم بوجودها، وبقدرته على استخدامها وهذا يعني أن القوة الناعمة وحدها بما فيها من اقتصاد وتكنولوجيا، ومخترعات، وإعلام، وبرامج، وثقافة، وترويج الخ تعني نوعاً من الهدر إن لم تكن مشفوعة بقوة عسكرية تبعد شبح الاستخفاف بنعومة القوة، وتجعل الندّية عنواناً لأية محاورات على مستوى عال .

تاريخ القوة الناعمة

بدأ السياسيون يتداولون مصطلحين جديدين هما القوة الناعمة والقوة الصلبة منذ زمن غير بعيد وزاد استخدامهما بعد الأحداث السياسية والتغيرات في المنطقة العربية ، وبعد احتلال أفغانستان والعراق والقوة

الناعمة أو الليّنة،مصطلح سياسي حديث العهد،عرفه الفلاسفة والسياسيون القدماء بتعبيرات متعددة منها مثلاً التأثير والإقناع والثقافة والنموذج ويرى ميشيل فوكو،ولعل أفضل من عبر عن أماني الولايات المتحدة وضرورة تميز قوتها هو روبرت جيتس وزير الدفاع الأمريكي ففي مؤتمر حول قضايا الدفاع قال جيتس: إن رسالتي تتعلق بكيفية مواجهة أمريكا للتحديات الدولية القادمة في العقود المقبلة وعلى أمريكا أن تبتكر مظاهر أخرى لقوتها القومية بهدف مواجهة التحديات الخارجية وأقول لكم إنني أتيت إلى هنا لأعزز فكرة استخدام القوة الناعمة لكي تصبح قوة فاعلة رديفة للقوة الصلبة ومن الناحية النظرية، يعتبر جوزيف ناي المنظر الأساس لمفهوم القوة الناعمة ويطرح ناي في مؤلفاته إستراتيجيات بارزة من أجل إنجاح سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في السياسة الدولية وناي درس بدقة تكلفة حروب أمريكا الباهظة في أفغانستان والعراق، ووجد أن وزن أمريكا الدولي لم يعد كما كان سابقاً، وأن شعبية بلده قد تدنت بشكل حاد في البلدان الإسلامية وانطلق من فكرة أن الناس قد عرفوا القوة الصلبة المباشرة عسكرياً والجبروت العسكري والاقتصادي للولايات المتحدة وأدركوا ، أن استخدام القوة المباشرة والتهديدات الصريحة من شأنه أن لا يحقق النتائج المرجوة في حين أن استخدام القوة الناعمة، سيجذب الآخرين

ويرفع مستوى الإعجاب بالسياسة الأمريكية كاللعب بقواعد الخصم، وخلق حالة من التشكيك في الثوابت والمعتقدات التي يتبناها.

التسمية

أما عن لماذا سميت القوة الناعمة؟ فلعدة أسباب كثيرة منها وليس كلها: أنها تغير قرارات الدول بدون حرب ، وتدفع للاستسلام للقوة الناعمة سلمياً ،وتدفع فى الخفاء ،وتضغط برفق وخالية من الأسلحة وخالية من أسلحة الدمار الشامل ومكونة من أدوات حياة وتوجه المشاعر والخواطر والمصير والاهتمامات من بعيد وتدير الفساد والتعليم والاعلام والدين والأخلاق والأفكار والاعتقادات والمبادئ والأهداف والخطط وتوجه العالم سلمياً وتحرك بدون قسوة وبدون ادراك وملاحظة وبطرق شيطانية وبشراهة وبمداهنة وطول بال وبدهاء وخبث وتحرك المظاهرات وتحرك العداوات سلمياً وحسبما قال جوزيف ناى فى كتابه فإن القوة الناعمة سلاح مؤثر يحقق الأهداف عن طريق الجاذبية والإقناع بدل الإرغام أو دفع الأموال.

ان بعض الدول الصغيرة أصبحت ذات تأثير كبير ومنها قطر التي تعتبر قناة الجزيرة مصدر قوتها الناعمة، حيث عرضت القناة خلال الحرب الأمريكية ضد العراق صوراً لضحايا مدنيين استفزت مشاعر الناس وأصبح الكثير منهم متعاطفاً مع القاعدة التي ارتفعت

شعبيتها في بعض الدول مثل أندونيسيا والأدرن ومصدر قوة أمريكا ليس الجيش فقط إنما مجموعة من العوامل الداعمة لهذه القوة فعلى سبيل المثال تجذب الولايات المتحدة أكبر نسبة للمهاجرين، والطلبة الدارسين منهم سيحملون الكثير من القيم والمبادئ الأمريكية، ويمكن أن يكونوا سفراء للثقافة الأمريكية ويحتلون في دولهم مراكز القرار، كما تحتل الولايات المتحدة المرتبة الأولى في الفوز بجوائز نوبل في الفيزياء والكيمياء والاقتصاد، ومبيعاتها من المؤلفات الموسيقية تشكل الضعف مقارنة مع اليابان التي تحتل المرتبة الثانية، وتعتبر أمريكا أكبر مصدر للأفلام وبرامج التليفزيون في العالم، رغم أن بوليوود الهندية تنتج أفلاماً أكثر منها كل عام وحسم الصراعات بالقوة العسكرية وحدها أصبح أمراً من الماضي خاصة والانفتاح وقوة وسائل الاتصال والبرمجيات قد تشكل عائقاً .

<u>وسائل قياس القوة الناعمة:</u>

يمكن قياس حجم ومقدار القوة الناعمة وتأثيرها لدولة معينة أو جهة ما من خلال استطلاعات الرأي التي تجريها مراكز الدراسات الموضوعية المنتشرة غالباً في الدول المتقدمة، لهذا نجد أن هذه الاستطلاعات مُتابعة بشكل حثيث، وينفق عليها الكثير لأهميتها البالغة

حتى في رسم السياسات الدولية.

أركان الحرب الناعمة :

الخداع وتحين الفرص والحملات المنظّمة: إن تنفيذ وظائف الحرب الناعمة ذات الطبيعة الحساسة ووضعها موضع التطبيق يتطلب موارد وطاقات وجهودا بشرية كبيرة، وتخطيطاً وتحليلاً سياسياً لتوجيه الأحداث، ومراكز أبحاث وأجهزة توفر المعلومات والمعطيات، وإمكانات تكنولوجية واتصالات وإعلام ضخم، ومهارات وخبرات وصبراً إستراتيجيا وغرفة عمليات تتولى التنسيق لأجل تضافر مجموعة من العناصر والأركان منها ما يلي:

- مواد ورسائل وأفكار وشعارات سياسية وإعلامية وثقافية ودبلوماسية.

- بناء علاقات وتوفير وسطاء يقومون بوظيفة تسويق وترويج الأفكار والأخبار والتحليلات والتوجيهات السياسية والثقافية والإعلامية .

- تجهيز وتخصيص منافذ وبوابات وقنوات إعلامية وسفارات.

- بناء علاقات مع كوادر إعلامية ومنظمات وشبكات انترنت ونخب وقوى ومؤسسات عامة وقوى مجتمع مدني وشخصيات ذات تأثير عام.

- جمهور ونخب تتلقى وتستجيب لمضمون هذه المواد والرسائل.

ـ غرفة عمليات موحدة تنسق الأنشطة والاتصالات وتوزع الأدوار والشعارات وفقاً لتخطيط سياسي عالي المستوى٠

ـ ظروف مناسبة وفرصة ضمن سياق ملائم فالقوة الناعمة تعتمد على المعادلات الآتية من يتواصل مع من وتحت أي ظرف[١] وما هي الرواية الفائزة فى نظر الجمهور والرأي العام، لأن المنتصر في الحرب اليوم هو من تفوز روايته للأحداث[٢] وهذا ما نراه اليوم بقوة في أيام الثورات العربية،حيث يندر أن يأتي يوم لا نسمع فيه كلاماً عن الشرعية ونزع الشرعية عن هذا النظام وذاك الرئيس ، والرواية الرسمية الفلانية ورواية المعارضة المقابلة، وهذا جانب من جوانب الحرب الناعمة وقضية الظروف التي تحدث عنها جوزيف ناي هي جوهر الحرب الناعمة ، لأن الإعلام والثقافة والدبلوماسية وهي أهم أدوات القوة الناعمة تحتاج كي تتحول إلى عملية مؤثرة في البيئة السياسية للخصم إلى سياق ومناسبة خاصة وظرف خاص٠

كما إن نوعية الطرف الذي يتولى عمليات الحرب الناعمة مهم جداً، فإذا كان طرفاً مباشراً أمريكياً فحساسية الجمهور تجاهه أكبر، وبناء عليه فتمرير الرسائل بطريقة غير مباشرة أهم من الظهور المباشر

١ـ القوة الناعمة مصدر سابق ص ٤٠ ٢ـ مصدر سابق ص ١٤٩

الذي أصبحت تتحسس منه النخب والجماهير[١] .

لهذا فالحرب الناعمة ركزت كثيراً على ضرورة العمل عبر الوكلاء فهذا أهم من مباشرة التأثير العلني، وهذا جزء من الطبيعة المخادعة والماكرة للحرب الناعمة لأن أفضل الناطقين باسم الأفكار والأهداف الأمريكية هم غير الأمريكيين أي الوكلاء المحليون وهناك مثال ممتاز على ذلك هو ما يحدث بين لوس انجلس وطهران حيث يذيع المهاجرون الإيرانيون[٢] برنامجاً تلفزيونياً برعاية خاصة موجها إلى الرأي العام الإيراني وتحتاج الحرب الناعمة إلى عملية تنظيم معقدة،لإدارة وتركيز وتنظيم الحملات ولأجل اختيار التوقيت وتنسيق الجهود وفق الظروف الملائمة وهذا يحتاج إلى قيادة وغرفة عمليات موحدة تتولى منع تضارب السياسات والتنسيق بين مختلف الأنشطة والأذرع التي تتولى تنفيذ هذه العمليات، حيث أن هناك عشرات الجهات تتولى الحرب الناعمة على إيران وحدها، وقد أحصى منها وزير الاستخبارات الإيراني ٨٠ مؤسسة وقناة[١] .

كما أن الحرب الناعمة تعتمد على رفع شعارات ومطالب الناس واستغلالها، فلا يمكن للحرب الناعمة أن تنجح إذا ما رفعت شعارات

١\ - مصدر سابق ص ١٥٩ ٢- مصدر سابق ص ١٨٠ و١٨١

وتبنت سياسات معادية فى الظاهر لمصالح من تستخدم القوة الناعمة ضده والقوة الناعمة تقوم على رفع شعارات وقضايا مرغوبة ومحبوبة والبحث عن قيم مشتركة مع الطرف المستهدف مثل الديمقراطية / حقوق الإنسان / السلام / الحريات / فرص الازدهار / الاستقرار / الخ وهذا ما أكده جوزيف ناي بقوله لا يمكن لأي حملة تواصل استراتيجي مهما كبرت وتوسعت ولا لأي قوة ناعمة أن تؤثر وهي تروج شعارات ومطالب غير مرغوب فيها شعبياً في ساحة الخصم(٢) .

هذه هي أهم العناصر والأركان لنجاح عمليات الحرب الناعمة كما حددها كل من جوزيف ناي ومايكل آيزنشتات، فتأدية الوظائف التي ذكرناها سابقاً يحتاج إلى حملات قد تستغرق أعواماً فأساليب الاتصال الاستراتيجي غير المباشر بواسطة الوسائل الإعلامية والالكترونية والدبلوماسية والخفية للتأثير في جدول الأعمال السياسي لبلد آخر تحتاج إلى تطوير مجموعة من المواضيع والشعارات على طريقة الحملات الإعلانية والانتخابية والسياسية في الغرب، ويستلزم ذلك تخطيطاً وأحداثاً رمزية ومد اتصالات وبناء علاقات على مدى سنوات

١-وكالة تابناك الإيرانية على الانترنت ٢- مصدر سابق ص ١٦٤

كي نتمكن من إبراز هذه الشعارات والمواضيع المركزية والدفع بالسياسة المطلوبة من قبل أمريكا قدماً إلى الإمام.

الحرب الناعمة والقوة الناعمة:

منذ الثمانينات، اعتمدت الإدارة الأميركية سياسياً وعسكرياً عنوان الحرب الناعمة بعد الحرب الباردة وبدأت تطبيقها في سياستها الخارجية ويلخص تعريفها أحد منظري الحرب الأميركيين والمدرس في الكليات العسكرية : جون م.كولينز بقوله: الحرب الناعمة عبارة عن استخدام الإعلام والتخطيط للتأثير على ثقافة العدو وفكره باللجوء إلى تنسيق الجهود بما يخدم حماية الأمن القومي وتحقيق أهدافه بكسر إرادة هذا العدو وقد صدرت في صدد الإستفادة منها العديد من الدراسات والكتب، أهمها كتاب جوزف ناي سنة ٢٠٠٤وتعتمد الحرب الناعمة لتحقيق الاستراتيجيات وسائل تكتيكية منها:

ـ نفي الشرعية عن بعض العناوين.

ـ تغيير المفاهيم والمصطلحات وقيمها من الإيجابية إلى السلبية وبالعكس بحسب الحاجة، مثلاً:لاحظ استخدام الغرب لمصطلحي الإرهاب والمقاومة من أجل الحرية بما يخدم سياساتهم.

ـ الإضاءة على بعض العناوين وربطها بالفضائل والقيم كحقوق الإنسان والمرأة دون تحقيق عن مؤداها وواقعها.

ـ كسر هيبة المفاهيم والأشخاص المحترمين وتسخيفها لدى أي شعب من خلال المقالات ورسوم الكاريكاتير والنكتة والأفلام وما إليها.

ـ استخدام القوة الناعمة: الإدارات الفكرية والأخلاقية والدبلوماسية وتعتبرها من أدوات جيشها وأمنها تحت تصنيف أسلحة غير قاتلة.

أ ـ نماذج عن استراتيجيات الحرب الناعمة:

١ـ الاستنزاف المتواصل لطاقات الخصم وسلب حيويته وإشعاعه وضرب وإضعاف موارده الناعمة.

٢ـ الضغط والتشهير المتواصل على مرتكزات ورموز وملامح وصورة ونفسية وعقل الخصم بدون أي توقف بهدف تحقيق الإرهاق والإرباك وخلخلة الأركان.

٣ـ الدعم العلني لتيار على حساب تيار آخر والتقييم الفئوي لساحة الخصم بهدف خلق بيئة من الاتهامات المتبادلة وإيجاد فرز واستقطاب يسمح بالدخول على الخط والتلاعب.

٤- استغلال نقاط الضعف في بعض الشخصيات القيادية في جبهة الخصم لخلق توترات وحساسيات وعداوات مع الشخصيات المنافسة وتسعير حمى الصراع على المواقع عبر تسريب الإشاعات والأخبار وتضخيم صورة بعض الشخصيات خاصة المعارضة وصناعة نجوميتها الإعلامية والجماهيرية.

٥- خلق بيئة سياسية وشعبية وإعلامية متوترة من خلال الجدل والمناقشة في قضايا وموضوعات فكرية وسياسية حساسة تؤدي إلى إحداث تناقضات وحساسيات بين الفصائل المختلفة (في إيران مثلا يتم التركيز على موضوع ولاية الفقيه ومواصفات وصلاحيات الولي ومصدر شرعيته، ومدى أهلية الولي الحالي الإمام الخامنئي للقيادة)

٦- استدراج التيارات الإسلامية إلى ملفات السياسة العامة بما يؤدي إلى توريطها فى أزمات سياسية مع غيرها من التيارات وإبعادها عن هدفها المركزي في مواجهة الغرب وإثبات فشل وقصور نظم الحكم والإدارة الإسلامية عن تلبية الاحتياجات والمتطلبات الدولية والسياسية المعاصرة.

٧- ضرب وتشويه صورة علماء الدين والمؤسسات الدينية بهدف تقليص دورهم والعمل على إدخال تعديلات على المناهج الدينية وإضعاف الفكر الديني .

٨ـ تعديل وظيفة المساجد وتحويلها من قواعد دعم للتمسك بالدين إلى قواعد لبث التسامح والاعتدال من وجهة نظر أمريكا والغرب.

٩ـ إبراز مخالفة النظم والحركات الإسلامية لمواثيق ومقررات الأمم المتحدة ومنظومات الأمن والسلام الدوليين ومقتضيات حقوق الإنسان وقيم التسامح الديني وتبنيها للعنف والإرهاب كمنهج وإستراتيجية.

١٠ـ دعم تيار ما يسمى بالإسلام المدني المعتدل وإيجاد شبكة إسلامية دولية مرتبطة بالغرب تعمل وفق الضوابط الأمريكية والغربية وترويج إسلام أمريكي وغربي وتصوّف مزيف أسماه الخامنئي بالعرفانيات الكاذبة البديلة للعرفان الحقيقي.

١١ـ تقليص الوجود العسكري وزيادة الوجود المدني والإعلامي والمخابراتي في العالم الإسلامي.

ومن نماذج من تكتيكات الحرب الناعمة تنويع مصادر البث الإعلامي وخلق ونشر قنوات ومؤسسات إعلامية شعبية خاصة على شبكة الإنترنت حيث تقل إمكانيات الرقابة الحكومية،ويسهل استدراج الشباب، وهذا ما اسماه جارد كوهين رئيس قسم التخطيط السياسي في وزارة الخارجية الأمريكية بسياسة الديمقراطية الرقمية حيث أن الشباب

والنساء في الشرق الأوسط قد أصبحوا ناضجين لتقبل تأثير السياسات والأفكار الأمريكية من خلال بوابات ومنافذ تكنولوجيا الاتصال والإعلام.

٢ـ زيادة صدق الحملات الإعلامية من خلال البحث عن شخصيات لها نوع من التغطية والقبول الجماهيري خاصة من المعارضين والمنشقين عن النظم والحركات الإسلامية.

٣ـ إنشاء ودعم جمعيات ومؤسسات مدنية وشبابية ونسائية وثقافية تحت شعار قوى المجتمع المدني لإضعاف القوة المعادية وإيجاد بدائل لها على المدى البعيد، بموجب قانون أمريكي يدعم المنظمات الديمقراطية والشبابية .

٤ـ فتح قنوات الاتصال السياسي والدبلوماسي مع الحركات الإسلامية المركزية بهدف استدراجها وتوريطها وتلطيخ سمعتها ونزع مصداقيتها في الشارع العربي والإسلامي عبر زيادة الشكوك حولها وتسعير الحساسيات مع نظرائها .

٥ـ تركيز الضوء على الشخصيات ذات الأفكار المتطرفة بهدف بث التفرقة وإشغال المذاهب والفرق الإسلامية ببعضها.

٦ـ استقطاب الشخصيات الإسلامية الليبرالية ذات الأفكار الالتقاطية

ودعمها بهدف إضعاف تأثير الحركات الإسلامية الرافضة للقيم والسياسات الغربية.

٧- تدريب أفراد وشبكات ومؤسسات للتحرك على شبكة الإنترنت بهدف رفد القنوات الإعلامية العالمية بالمادة المطلوبة - للتشهير والتشويه – وقد صدر قانون الكونجرس الأمريكي لتقديم الدعم لضحايا الرقابة على شبكات الإنترنت.

٨- توسيع الفرص الاقتصادية واستقطاب المهاجرين وتقديم المنح الدراسية لجذب الشباب المسلم نحو المال والأعمال والتخصصات العلمية وصرفه عن الالتحاق بالشبكات ومجموعات الجهاد.

٩- زيادة برامج تدريب الضباط المسلمين وتفعيل العلاقات مع قادة الجيوش الإسلامية.

١٠- تفعيل شبكة العلاقات مع أبناء الجاليات المسلمة والمغتربين المسلمين المقيمين في الغرب بهدف إشراكهم في برامج لزيادة التأثير في شعوبهم ودولهم .

القوة الذكية: المزج بين القوة الناعمة والقوة الصلبة

إن تحقيق الأهداف، لا يمكن دائماً بالقوة الناعمة، لذلك تعمد قوى الاستكبار إلى المزاوجة بين القوة الناعمة والصلبة، فمن أجل كسب

السلام، يتعين على الولايات المتحدة أن تظهر براعة كبيرة في ممارسة القوة الناعمة كما أظهرت براعتها في ممارسة القوة الصلبة، لكسب الحرب ضد الإرهاب الذى تزعمه.

وهذا المزج يشكل ما يسمى القوة الذكية والمزج لا يعطي حاصلاً حسابياً بسيطاً، لأن هناك علاقة بين القوتين، خاصة وأن القوة الصلبة لها جانب جذاب أو ناعم، لأن الناس تميل إلى القوي وإن كانت تشفق على الضعيف كما أن القوة الصلبة قد تُستخدم لإحداث نتائج محببة وجذابة ففي حرب العراق كانت هناك مجموعة أخرى من الدوافع لها علاقة بالقوة الناعمة، فقد اعتقد المحافظون الجدد أن القوة الأمريكية يمكن استخدامها في تصدير الديمقراطية إلى العراق وفي تحويل سياسة الشرق الأوسط.

لكن الأمريكان ما زالوا منذ زمن الحرب الباردة يزاوجون بين القوتين بجرعات متباينة، ففيما كانوا يعدون ترسانة نووية هائلة ضد المعسكر الاشتراكي، كانوا يبثون الموسيقى الأمريكية والأخبار للشباب خلف الستار الحديدي، بواسطة إذاعة أوروبا الحرة واليوم يمارس الأمريكيون أسلوب المزاوجة تجاه إيران وسائر دول المقاومة فالحوادث الحالية في الشرق الأوسط تمثل في الوقت نفسه حرباً ناعمة إلى جانب الحرب الصلبة بين المقاومة التي تقودها إيران، من جهة،

ونظم الغطرسة (الغرب) التي تقودها الولايات المتحدة، من جهة أخرى وإن كانت جبهة المقاومة انتصرت في بعض البلدان، وهي تربك المشاريع الغربية في بلدان أخرى.

كما تخاض حرب ناعمة، إلى جانب مظاهر الحرب الصلبة بين روسيا وأمريكا حول دول أوروبا الجنوبية الشرقية ومنطقة بحر قزوين، حيث تسعى أمريكا إلى ضم الدول المذكورة: ألبانيا، كرواتيا، مقدونيا، جورجيا، أوكرانيا إلى مؤسسات أوروبا الأطلسية، وكسر تحكّم روسيا فى طرق الترانزيت الخاصة بالطاقة من بحر قزوين إلى أسواق أوروبا، ونشر الديمقراطية في أوساط الشعوب المعنية بينما تتصدى روسيا لكل هذه المشاريع.



الباب الثانى

قوة إيران الناعمة

طريقة حرب جمهورية إيران

تتكون طريقة حرب جمهورية إيران من عدة عناصر:

١) الاعتماد على الوكلاء.

٢) استخدام العنف المتدرج.

٣) التركيز على الأبعاد المعنوية والنفسية والروحية للصراع .

٤) الصبر الاستراتيجي.

الحرب بالوكالة فاستخدام عصابات الشوارع وجماعات الضغط العنيفة كأدوات للسياسة المحلية هو تقليد قديم في إيران وهكذا لعب أنصار حزب الله دوراً محورياً في قمع الاضطرابات المحلية في إيران في عامي ١٩٩٩ و٢٠٠٩ وهذا الشكل من السياسة بوسائل أخرى يجد نتيجته الطبيعية في استخدام إيران للميليشيا والبدائل الإرهابية كأداة للسياسة الخارجية وبالنسبة لطهران فإن الحرب هي وظيفة لأتباعها العرب وليس إلى أقصى حد ممكن لجيشها وعندما أرادت إيران توجيه ضربات لأعدائها كانت تفعل ذلك بتكليف آخرين أو تسهيل العمليات من قبلهم على النحو التالي: كجزء من حربها على الولايات المتحدة سهلت تفجير الثكنات البحرية في ٢٣ أكتوبر ٩٨٣ على يد منظمة الجهاد

الإسلامية وحزب الله مما أسفر عن مقتل ٢٤١ من مشاة البحرية وأدى إلى انسحاب القوات الأمريكية من لبنان.

- **رداً على اغتيال الأمين العام لحزب الله الشيخ عباس الموسوي وعائلته على يد القوات الإسرائيلية في ١٦ فبراير عام ١٩٩٢، قام حزب الله بمساعدة وزارة الاستخبارات والأمن الإيرانية، بتفجير السفارة الإسرائيلية في بوينس آيرس في ١٩ مايو عام ١٩٩٢.**

- **رداً على الهجوم الجوي الإسرائيلي على قاعدة تدريب حزب الله في عين دارة في لبنان في ٢ يونيو عام ١٩٩٤ ومقتل عشرات من مجندي حزب الله ومدربيهم من فيلق الحرس الثوري الإسلامي، فجر حزب الله بمساعدة إيرانية مركز الجالية اليهودية في بوينس آيرس في ١٨ يوليو عام ١٩٩٤ مما أدى إلى مقتل خمس وثمانين شخص وجرح مئات آخرين.**

- **بعد ستة أشهر من تخصيص الكونجرس الأمريكي ١٨-٢٠ مليون دولار لعمليات سرية في إيران فجر حزب الله السعودي في ٢٥ يونيو عام ١٩٩٦ مجمعاً سكنياً للجيش الأمريكي في منطقة الظهران بالسعودية مما أدى إلى مقتل ١٩ جندي أمريكي وجرح ٣٧٢ فرداً من مختلف الجنسيات وقد خططت تلك العملية قوة القدس التابعة لفيلق**

الحرس الثوري الإيراني بمساعدة حزب الله اللبناني في محاولة واضحة لتكرار نجاح تفجير ثكنات بيروت.

إن استخدام إيران للوكلاء يسترشد إلى حد كبير باعتبارات عملية بدلاً من أيديولوجية وهكذا فقد دعمت إيران العديد من جماعات التمرد والميليشيات في العراق حتى إنها كانت تقريباً تدعم كل حصان في السباق فقد دعمت الميليشيات الشيعية مثل فيلق بدر وجيش المهدي وعصائب أهل الحق وكتائب حزب الله في نفس الوقت الذي تدعم فيه حكومة العراق رغم أن الأولى كانت تحارب أحياناً بعضها البعض وعملت في الغالب على تقويض سلطة الأخيرة كما أظهرت في بعض الأحيان استعداداً لإبرام تحالفات تكتيكية مؤقتة مع أعدائها الاستراتيجيين بالعمل مع الجماعات السنية السلفية الجهادية مثل أنصار الإسلام لكسب القدرة على التأثير على حلفائها الأكراد سابقاً، ومع تنظيم القاعدة في العراق لإبقاء جذوة العنف الطائفي مشتعلة ولاستنزاف القوات الأمريكية في العراق.

العنف المتدرج: ففي عام ١٩٨٨، أعدمت إيران آلاف المعارضين المسجونين رداً على هجوم شنته حركة مجاهدي خلق الإيرانية المعارضة من قواعد في العراق أثناء المراحل النهائية للحرب الإيرانية العراقية كما أمرت باغتيال عشرات المعارضين الإيرانيين المقيمين في

أوروبا وغيرها أثناء الثمانينيات وأوائل التسعينيات إلى أن تسبب قتل معارضين إيرانيين أكراد في مطعم في برلين في عام ١٩٩٢ في تمزق العلاقات بين إيران وأوروبا ووضع نهاية لهذه الممارسات وفي عام ١٩٩٨، قتل عملاؤها ستة منشقين ومفكرين خلال فترة رئاسة محمد خاتمي (ما يسمى بسلسلة جرائم القتل) لتخويف حركة الإصلاح.

وقد اتخذت إيران موقفاً مدروساً تجاه حركة المعارضة المحلية التي نشأت في أعقاب انتخابات يونيو عام ٢٠٠٩ وتم الطعن في نتائجها، حيث استفادت مما سبق وتعلمته من المواجهات السابقة وبقيام النظام بتزويد قوات الأمن بالهراوات والعصي والدروع والغاز المسيل للدموع وبتجنب الرصاص الحي لتقليل عدد القتلى، تحاشت طهران جنازات الجماهير الحاشدة التي أشعلت الثورة ضد الشاه وعن طريق ضمان كون مصادمات الشوارع دامية وحدوث شجارات وجهاً لوجه فقد أخاف النظام أولئك الأقل شجاعة بين خصوم النظام وبسوء معاملة وتعذيب وإذلال المعتقلين ثم الإفراج عنهم لكي يتمكنوا من سرد قصتهم لأسرهم وأصدقائهم تكون طهران قد أحبطت الروح المعنوية لعامة الشعب وأخافت السكان.

وتحتفظ إيران بقانون خاص هو الإقامة الجبرية الذي يستلزم فرض العزلة والتهميش ضد أخطر خصومها المحليين كما استخدمت هذا

الأسلوب مع وريث الخميني المخلوع وهو آية الله حسين علي منتظري ووضعت مؤخراً زعماء الحركة الخضراء مير حسين موسوي ومهدي كروبي رهن الإقامة الجبرية والإقامة الجبرية في الغالب تعادل السجن المؤبد الذي ينتهي فقط بموت الضحية كما يبيح ذلك للنظام الاختفاء الفعلي لأفراد بارزين مع تجنب الإجراءات الأكثر تشدداً في ذات الوقت مثل السجن أو القتل خارج نطاق القضاء التي يمكن أن تستحث رداً شعبياً عنيفاً وتخلق انشقاقاً داخل الحلقة الضيقة للنظام.

ومع ذلك، فمنذ الأيام الأولى للثورة جاهدت إيران من أجل تأسيس احتكارها على استخدام القوة والحفاظ عليه ولإيران تاريخ من العناصر المارقة المتطرفة التي تشرع في تصرفات مرفوضة لإجبار الحكومة على عمل ما لا ترغب القيام به، بل ومكافأتهم فيما بعد إذا جلبت اللعبة فوائد للنظام وهكذا استولى الطلاب الراديكاليون على السفارة الأمريكية في طهران في ٤ نوفمبر عام ١٩٧٩ لتقويض جهود الحكومة المؤقتة لإعادة تأسيس علاقات طبيعية مع الولايات المتحدة ولم يكن الخوميني يعلم مسبقاً بشأن هذا الاستيلاء المخطط له لكنه باركه بعد وقوعه وقد استمر الكثير من خاطفي الرهائن الشباب في تقدمهم حتى أصبحوا سياسيين ومسؤولين بارزين .

وبالمثل، فإن قائد الوحدة البحرية فى فيلق الحرس الثوري التي اعتقلت ١٥ من القوات البحرية الملكية البريطانية ومشاة البحرية الأمريكية دون تصريح في المياه المتنازع عليها في شط العرب في مارس عام ٢٠٠٧ قد تلقى الثناء وقلد وساماً عندما انتهت الحادثة لصالح إيران رغم أنف المملكة المتحدة.

البُعد النفسي والمعنوي والروحي تُظهر خبرة السنوات الثلاثين الماضية أن إيران تركز على أولوية الأبعاد المعنوية والروحية للحرب أكثر من تشديدها على الأبعاد الفيزيائية والتقنية.

وترى معلومات العملية باعتبارها الحاسم في الحرب وفي الوقت الذي تشرع فيه الولايات المتحدة في عمليات المعلومات دعماً لأنشطتها العسكرية تشرع إيران مراراً في أنشطتها العسكرية مثل التدريبات واستعراض القوة والعمليات بالوكالة لدعم عمليات المعلومات.

وفي إيران في عهد الشاه كانت تسجيلات خطب الخميني التي تم توزيعها سراً قد ساهمت في نجاحه وصعوده كزعيم بينما عجلت الدعاية الماهرة بانشقاقات جماعية من قوات الشاه المسلحة وأثنت الكثيرين من الموالين للنظام القديم عن الاستمرار في ولائهم وأثناء حرب العصابات المطولة لحزب الله ضد إسرائيل في جنوب لبنان ١٩٨٢-٢٠٠٠لعبت العمليات النفسية دوراً مركزياً في تقويض التأييد الداخلي الإسرائيلي

لاحتلال جنوب لبنان مما ساهم في انسحاب إسرائيل في مايو عام ٢٠٠٠ولحماية نفسها ضد التدمير الداخلي والحرب النفسية من جانب العدو حاولت إيران أسلمة قوات الأمن والجيش وتغذية ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد ولهذه الغاية حاولت غرس ما تسميه القيم العلوية والعاشورائية في رجالها المقاتلين بمدح الخصال العسكرية البطولية للإمام علي بن أبي طالب وفضيلة الاستشهاد المتممة لذلك، كما جسدها الإمام الحسين وصحبه الذين تعرضوا لمذبحة على يد قوات الخليفة يزيد على سهول كربلاء في عاشوراء عام ٦٨٠ م.

وعقيدة المقاومة كما مارستها إيران وحزب الله وحماس وسوريا في صراعهم مع إسرائيل والولايات المتحدة تولي أهمية كبرى لتحقيق تأثير نفسي فهي تفترض أن النصر يتحقق بهزيمة روح العدو من خلال إرهاب مدنييه واستنزاف جيوشه وحرمانه من الانتصار في أرض المعركة وعلاوة على ذلك، تفترض أن الصراعات هي مباريات محصلتها صفر وأن التسوية علامة على الضعف وسيتم استغلالها من قبل العدو.

وما تزال إيران مجتمعاً يعاني من جروح الحرب التي كانت بينها وبين العراق والتطهيرات الدموية المتكررة ودوائر القمع المتكررة كما أن ثقافة الاستشهاد والجهاد يعتنقها فقط المتشددون في حزب الله

والباسيج الذين يشكلون فقط جزءاً صغيراً وإن كان مؤثراً من المجتمع الإيراني.

ومنذ أواخر الثمانينيات ساد المنهج الذي يجسده مبدأ مصلحة النظام، رغم أن هذا قد يتغير في نهاية المطاف نتيجة للنجاحات المتصورة لعقيدة المقاومة في لبنان وغزة وفشل المجتمع الدولي في وقف برنامج إيران النووي والقوة المتنامية للاتجاه المهدي الحالي في السياسة الإيرانية منذ انتخاب الرئيس أحمدي نجاد عام ٢٠٠٥.

الصبر الاستراتيجي :تفضل إيران تجنب الانخراط والمواجهات الحاسمة وجهاً لوجه كما أنها أظهرت مراراً تفضيلها استراتيجيات التأجيل واللامباشرة والاستنزاف الحذرة وهكذا فإيران قد:

- **أطالت مفاوضاتها مع الاتحاد الأوروبي والدول الخمس الدائمة العضوية في مجلس الأمن + ألمانيا لكسب الوقت لبرنامجها مما مكنها من تحقيق تقدم تدريجي بطيء في هذا الفاصل الزمني.**

- **أخافت وأوهنت الروح المعنوية للمعارضة الداخلية ومزقتها من خلال إجراء محاكمات صورية لزعماء المعارضة والقيام باعتقالات جماعية وتعذيب المعتقلين وإساءة معاملتهم.**

- **حاولت إيقاع إسرائيل في فخ صراع استنزافي ومثبط للعزيمة ومفتوح الأجل من خلال حليفيها حزب الله اللبناني وحركة حماس الفلسطينية.**

- **كانت حذرة في إظهار العداء للولايات المتحدة فقط عن طريق وسائل غير مباشرة بالاعتماد على البدائل مثل حزب الله اللبناني والجماعات الخاصة العراقية.**

النزوع إلى التوغل: كثيراً ما يجد المسؤولون الإيرانيون صعوبة في إبرام صفقة أو إنهاء نزاع، ويعود ذلك إلي نهج المباريات التي محصلتها صفر التي يتبعونها في الصراعات وهو ما يقف حائلاً ضد التسوية فضلاً عن أنه في ظل نظام سياسي متسم بالحزبية المتطرفة يخشى النظام من إدعاء المنافسين أن باستطاعتهم الأداء بشكل أفضل (وهكذا فإن قرار إنهاء الحرب بين إيران والعراق عام ١٩٨٨ وتعليق مؤقت لتخصيب اليورانيوم في عام ٢٠٠٣ قد بقيا قضايا جدلية في السياسات الإيرانية) وثمة إحساس ضئيل بجدوى التوصل إلى حل وسط متبادل يحقق تسوية مفيدة للطرفين أو التوصل إلى اتفاق.

تخطيط الدفاع الإيراني

إن تخطيط الدفاع الإيراني مدفوع بثلاثة عوامل رئيسية هي:

١) العزم على تحويل إيران إلى قوة إقليمية قادرة على إبراز النفوذ عبر أنحاء الشرق الأوسط وما بعده.

٢) الحاجة لردع تهديدات متصورة مختلفة وتجنب تكرار فشل الردع المأساوي الذي أدى إلى غزو العراق لإيران في عام ١٩٨٠ .

٣) الرغبة في الاعتماد على الذات في كل مجالات الحياة الوطنية وهو الهدف الجوهري للثورة الإيرانية.

وتؤمن قيادة إيران أن إيران تلعب دوراً رئيسياً في شؤون العالم بوصفها الحامل القياسي للإسلام الثوري والحارس للمسلمين المضطهدين بل وغير المسلمين في كل مكان وعليه فإنهم يعتقدون أن مصير الأمة يعتمد على قدرة إيران على تحويل نفسها إلى قوة عالمية بمقدورها الدفاع عن مصالح تلك الأمة ودفعها للأمام ويقود هذا التصور طهران أيضاً لدعم الحركات الإسلامية الراديكالية عبر أنحاء الشرق الأوسط لتقويض النفوذ الأمريكي في المنطقة وإعادة تشكيل البيئة الدولية بطريقة موائمة للمصالح الإيرانية وصقل المقدرات الإسلامية الثورية للنظام داخلياً وخارجياً.

وقد تصارعت التوجهات الإسلامية والقومية مع بعضها البعض منذ الثمانينات مما مهد لظهور اتجاه مهدوي بارز على نحو متزايد في أواخر التسعينيات والتوتر بين الإسلام والقومية مستمر حتى اليوم كما

تم الاستشهاد بذلك من خلال الجدل المثار في إيران بسبب تصريحات أحمدي نجاد، وعلى وجه التحديد حول مدرسة الإسلام الإيرانية.

كما تؤمن قيادة إيران بأن إيران هي القوة المهيمنة في الخليج والمنطقة بفضل الجغرافيا والطبيعة السكانية والموارد الطبيعية وهو ما يُترجم إلى رغبة في السيطرة على الخليج عسكرياً ويستلزم القدرة على حرمان الآخرين من استخدامه إن لزم الأمر والدفاع عن مصالحه الحيوية وتأكيد حقوقه في الخليج ضد المنافسين مثل السعودية والولايات المتحدة كما تؤمن بأن النظام الذي أيد القوة الأمريكية منذ الحرب العالمية الثانية يتعرض الآن لأزمة وأن الولايات المتحدة قوة آخذة في التدهور وأن إيران قوة صاعدة لذا فهى تعمل على إقامة تحالفات مع القوى المناهضة للوضع الراهن مثل فنزويلا التي تسعى إلى تقييد القوة الأمريكية من أجل التعجيل بتدهورها.

ومع ذلك فهناك فجوة كبيرة بين الصورة الذاتية وتطلعات النظام وواقع الضعف العسكري الإيراني فجهود طهران لتوسيع وتحديث قواتها المسلحة وتعزيز قدراتها العسكرية يُقصد منها جسر هذه الفجوة كما أن مشاكل إيران المالية والضغط الأمريكي على ممولي الأسلحة لها قد منعها من تحقيق هدفها الرامي إلى بناء قوة عسكرية كبيرة ولقد كرست مواردها المتاحة لاكتساب قدرات تقدم أكبر دوي للدفاع الإيراني المحدود

الخافت، بما في ذلك أسلحة مضادة للسفن وصواريخ وقذائف وبنية تحتية يمكن استخدامها لإنتاج أسلحة نووية وبالنظر إلى مشاكلها المالية فالأسلحة النووية ربما تكون هي السبيل الوحيد لإيران لتصبح قوة عسكرية إقليمية بموازنة أفضل: ففي حين إن برنامج الأسلحة النووية قد يكلف مليارات الدولارات إلا أن إعادة بناء قوة إيران التقليدية ستتكلف مئات المليارات من الدولارات كما أن سعي إيران وراء المكانة والنفوذ يتجلى في مطالبها المستمرة بالمعاملة بالمثل في علاقاتها مع العالم الخارجي وتحديداً مع القوى العظمى .

وطهران تدعي لنفسها ما يدعيه آخرون لأنفسهم وتطالب الآخرين بما يُطلب منها ورداً على الجهود العراقية لتعطيل صادرات النفط الإيرانية أثناء الحرب بين إيران والعراق أعلنت إيران أنها إذا لم تتمكن من تصدير النفط من الخليج فإنه لن يُسمح لأية دولة أخرى بالقيام بذلك ورداً على المطالب الأمريكية بألا تنتج إيران أسلحة نووية طالبت إيران الولايات المتحدة بالتخلي عن أسلحتها النووية وعندما وافق مجلس الأمن على قرار يفوض الدول الأعضاء بتفتيش السفن الإيرانية المحظورة بموجب قرارات الأمم المتحدة أصرت إيران بأنها ستفعل الشيء نفسه مع سفن الدول المشاركة في عمليات تفتيش من هذا النوع ورداً على إرسال السفن الحربية الإسرائيلية عام ٢٠٠٩ عبر قناة

السويس إلى منطقة الخليج العربي أرسلت إيران بوارجها عبر قناة السويس إلى جوار إسرائيل.

إن تخطيط الدفاع الإيراني مدفوع بالرغبة في تعزيز قدرة الردع ففي أوقات مختلفة واجهت تهديدات حقيقة ومتوهمة من العراق والولايات المتحدة وإسرائيل وأتت تلك التهديدات من الغرب (العراق وإسرائيل) والجنوب (القوات البحرية الأمريكية في الخليج العربي) وتخشى طهران أيضاً ما تتصور كونه محاولات أمريكية لتطويقها كجزء من مساعيها لاحتواء إيران، وهو الخوف الذي غذته الحملات العسكرية الأمريكية في أفغانستان والعراق المجاورتين.

وتقليدياً، عكست ميول القوات الإيرانية تلك التصورات عن التهديدات فقبل الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ كانت معظم قوات إيران البرية متمركزة قرب الحدود مع العراق بينما كانت معظم قواتها الجوية بالقرب من العراق ومنطقة الخليج العربي كما أن بحريتها كانت ومازالت منشورة في الخليج رغم أن إيران كانت تحاول إقامة اسطول بحري يبحر في مياه عميقة ويكون قادراً على إظهار النفوذ الإيراني وإبراز العلم خارج الخليج بعيداً جداً عن حدود البلاد.

ومنذ نهاية الحرب بين إيران والعراق، كرست إيران نصيب الأسد من دولارات دفاعها المحدودة لتعزيز قواتها البحرية وحربها غير التقليدية

وقوات صواريخها وقذائفها لردع أعدائها واستغلال نقاط ضعفهم إذا فشل الردع.

ومنذ الستينيات استندت القوة القتالية والرادعة الاستراتيجية للولايات المتحدة على ثلاثة أنواع من الأسلحة:الصواريخ الأرضية وقاذفات القنابل الأرضية والغواصات النووية المحملة بصواريخ التي تفكر الولايات المتحدة فى إضافة قدرة هجومية عالمية تقليدية سريعة إليها ومن أجل تعزيز دفاعها وقدراتها القتالية سعت إيران بالمثل إلى خلق مثلث رادع يتكون من:

- **قدرات ضد الوصول أو لمنع الوصول لتعطيل صادرات النفط من الخليج العربي، إذا رغبت القيام فى ذلك، لحرمان أعدائها من القدرة على استخدام الخليج كمنصة لإطلاق للهجمات.**

- **القدرة على زعزعة استقرار الدول المجاورة ذات الأعداد الكبيرة من الشيعة وإطلاق هجمات عنف على العديد من القارات بالاشتراك مع حزب الله اللبناني ومنظمات بديلة أخرى مثل الجماعات الخاصة الشيعية العراقية.**

- **قوات الصواريخ والقذائف المجهزة برؤوس تقليدية وربما نووية في النهاية وفي المستقبل ربما تسعى إيران أيضاً للحصول على وسائل**

توزيع غير تقليدية لترسانتها غير التقليدية مثل القوات الخاصة والمركبات الجوية بدون طيار والقوارب.

وبعد الغزو الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣ سعت إيران إلى خلق دعامة رابعة لقوتها الرادعة وهي ميليشيا الباسيج وفيلق الحرس الثوري الإيراني اللذان تم تدريبهما على القيام بحرب عصابات ضد القوات الغازية وفقاً لمفهوم دفاعي لامركزي جديد أو ما يسميه النظام بالمبدأ الفسيفسائي وفي حين خفت التهديد بالغزو، ركزت تلك المنظمات اهتمامها على التهديد المتصور للثورة الناعمة المثارة من قبل الولايات المتحدة وبالإضافة إلى بناء هذه القدرات العسكرية اتخذت إيران خطوات لتعزيز موقفها وصورتها الرادعة عن طريق:

- **زرع ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد لتخويف أعدائها وتعزيز بقاء قوتها.**

- **بناء خطوط أنابيب للغاز والنفط مع جيرانها (مثل خط أنابيب إيران – باكستان – الهند المجهض وخط أنابيب إيران - تركيا – سوريا الذي أعلن عنه مؤخراً) وربط الدول المجاورة بشبكتها الكهربائية (حيث تقدم للعراق ١٠ بالمائة من احتياجاتها من الكهرباء) بالإضافة إلى المنافع الاقتصادية لهذه الترتيبات يبدو أن طهران تأمل فى أن تكون روابط الاعتماد المتبادل هذه ضمان أن جيرانها وأغلبهم إما شركاء أو حلفاء**

للولايات المتحدة سيكون لديهم حافز للتأثير على واشنطن ضد أي هجوم على إيران.

• إقامة روابط مع المجتمعات الشيعية والمسلمة في جميع أنحاء العالم من خلال المشاركة في اختيار شبكات ملالي شيعية ومن خلال التوعية الدينية من قبل المراكز الثقافية الإيرانية التي غالباً ما تعمل فيها عناصر من المخابرات الإيرانية وتأمل إيران أن تكون تلك الروابط ضمان لحشد هذه المجتمعات إلى جانبها إذا ما تعرضت للهجوم وقد استخدمت مراراً الغموض لتعزيز الردع فمنذ عام ٢٠٠٦ وأحمدي نجاد يصرح مراراً أن إيران قوة نووية مستخدماً هذا المصطلح بطريقة يستفيد بها من معانيها المتعددة وبالمثل فقد استخدمت إيران استعراضات قواتها الصاروخية في العروض والتدريبات العسكرية لاستغلال الترابط المتصور بين الصواريخ والأسلحة النووية وهو ما شجعته من خلال تزيينها الصواريخ بلافتات كُتب عليها ينبغي محو إسرائيل من الخريطة.

وسياسة الغموض النووي التي تنتهجها طهران تُعقِّد أيضاً الجهود الأمريكية لإقامة هيكل أمن إقليمي لاحتواء وردع إيران النووية وكما اتضح من الانتقاد العاصف الذي لقيه تصريح وزيرة الخارجية الأمريكية هيلاري كلينتون في يوليو عام ٢٠٠٩ فيما يخص مظلة الدفاع الأمريكية للمنطقة فإن مثل هذه التصريحات يمكن أن تؤدي بالأصدقاء والحلفاء

إلى الاعتقاد أن واشنطن قد روضت نفسها على قبول اكتساب إيران للأسلحة النووية في نهاية المطاف، وبذلك يتعزز هدف طهران بأن تتم معاملتها باعتبارها قوة نووية.

الاعتماد على الذات على مدار وجودها كله حيث كانت إيران دولة وحيدة استراتيجياً تفتقر إلى حلفاء يمكن الاعتماد عليهم أو إلى قوة عظمى راعية لها ويعكس هذا جزئياً مكانة إيران كدولة فارسية ذات أغلبية شيعية في منطقة يهيمن عليها الأتراك والعرب السنة، والحقيقة هي أنه منذ ثورة ١٩٧٩واصلت انتهاج سياسات متطرفة تسببت في نفور جيرانها وعزلها دولياً وهكذا فخلال الحرب بين إيران والعراق كانت طهران قد واجهت بغداد وحدها تقريباً كما أن حظر الأسلحة الذي قادته الولايات المتحدة قد عقّد بشكل كبير جهود إيران للحفاظ على مجهودها الحربي فازداد إحساس إيران بالعزلة والشعور بالتخلي عنها بسبب الاستجابة الدولية الفاترة تجاه استخدام العراق لأسلحة كيماوية في تلك الحرب وقد تركت هذه الذكرى جروحاً غائرة في نفسية المواطن الإيراني وغرست ريبة عميقة في المعاهدات الدولية للسيطرة على الأسلحة التي كان العراق أحد الموقعين عليها فضلاً عن منظمات دولية مثل الأمم المتحدة وولّد ذلك عزماً لدى إيران بألا تسمح بتكرار هذه الأحداث المريرة.

ونتيجة لذلك سعت إيران لتطوير صناعاتها العسكرية لكي تخفض اعتمادها على ممولي الأسلحة من الخارج وتقلل من تأثير الحظر مستقبلاً وتخلق أساساً لجيش حديث وبالمثل فإن الرغبة في تحقيق الاعتماد على النفس كانت على الأرجح من بين العوامل التي دفعت إيران للتمسك بالبرنامج النووي.

وأخيراً، فإن الرغبة في الاعتماد على النفس تعكس عزماً على تخليص إيران من الاعتماد على المستشارين والتقنية الغربية لكن على الرغم من بذل جهود دامت ثلاثين عاماً ما تزال إيران تعتمد بشكل كبير على الممولين من الخارج للحصول على أسلحة ومعدات وتقنية متطورة.

القوة الناعمة الإيرانية:

تُعتبر الثقافة بكافة تفريعاتها ومستوياتها، مصدرًا مهمًا من مصادر توليد القوة الناعمة لأية دولة، حتى إن الكثير من الباحثين ظلّوا وقت طويل يفهمون ويفسرون القوة الناعمة على أنها تكاد تقترن بالتأثير الثقافي، قبل أن يعودوا ويوسعوا دائرتها وتُعرف الثقافة بأنها مجموعة القيم والممارسات التي تترك معنى بالنسبة للمجتمع، والتي من الممكن أن تأتي بعدة أشكال، مثل ثقافة النخبة (الأدب، الفن، التعليم العالي)، أو الثقافة الشعبية التي تستهوي الجماهير وتمتلك إيران مخزونًا كبيرًا لتوليد القوة الناعمة من هذا المصدر عبر:

اللغة: يرى بعض الباحثين الإيرانيين أن اللغة الفارسية عنصر أساسي في جذب الأمم الأخرى على اعتبار أنها دخلت في تركيب العديد من اللغات الأخرى السائدة اليوم في العالم كاللغة التركية والهندية والأوردية، والأرمينية، والجورجية، والسواحلية وغيرها، وأن ليس هناك عدد كبير من اللغات حول العالم يخلو من الفارسية

البعد الحضاري: كما أن باستطاعة البلاد استثمار ما تقول إنه حضارة تعود إلى ٣ آلاف سنة إلى الوراء زاخرة بالتاريخ والخبرة بالتأثير على المناطق المجاورة، التي مارستها عليها طوال فترة تمتد منذ زمن الأخمينيين مرورًا بالساسانيين وغيرهم ممن أنشأوا إمبراطورية تمتد من هيليسبونت غرب تركيا اليوم إلى شمال الهند، ومن مصر حتى آسيا الوسطى على حدود كازاخستان اليوم.

السياحة: وتُصنَّف إيران على أنها واحدة من عشر دول سياحية هي الأفضل من ناحية التاريخ والمواقع الأثرية، وتجذب حوالي ٣,٢ مليون سائح سنويًا وفق أرقام عام ٢٠١١ الغالبية العظمى منهم للسياحة الدينية، فقط ٢٠ ألف سائح منهم ليس لأسباب دينية مع خطط لجذب ٢٠ مليون بحلول عام ٢٠٢٥

الفن والمناسبات الثقافية: وبنظرة خاطفة على الاحتفالات والمناسبات الفارسية التي تقام، يكفي الالتفات إلى عيد النيروز الذي يُعتبر مؤشرًا

على التأثير الكبير للثقافة الإيرانية على الثقافات الأخرى، ناهيك عن الفن والشعر والتأليف كما يلعب المهاجرون الإيرانيون دورًا كبيرًا في نشر الثقافة الفارسية سيما وأن حجمهم يُقدّر بحوالي ٤ إلى ٥ مليون إيراني في المهجر ناهيك عن حوالي مليون و٣٤٠ ألف وُلدوا في المهجر وهم على ديانات مختلفة، منها: الإسلام، والمسيحية، والبوذية، والهندوسية، واليهودية، وغير المنتمين إلى أي دين.

القيم السياسية : تمتلك إيران نظامًا سياسيًا هجينًا إن صحّ التعبير يبتكر مفهوم الديمقراطية الدينية باعتباره نموذجًا فريدًا من نوعه يصلح أن يكون مصدرًا من مصادر القوة الناعمة الإيرانية لما يقدمه من جديد في هذا الموضوع، وكونه بديلاً عن النظم التقليدية المعروفة في العالم يقول رئيس مجلس الشورى الإيراني علي لاريجاني: إن إحدى أهم مآثر الخوميني على الإطلاق، تكمن في أنه قدّم نموذجًا للديمقراطية الدينية التي تستند إلى التصويت الشعبي ومقاومة الظالم بما يتماشى مع القيم الإسلامية ويقود النظام طبقة من رجال الدين الملالي على رأسهم الولي الفقيه المرشد الأعلى، ويفتح المجال واسعًا للانتخابات أن تأخذ مكانها في النظام السياسي لتفرز قيادات بشرعية شعبية، وتتيح حرية الاختيار للجميع، وقد استمر هذا المنوال تراكمياً منذ عام ١٩٧٩ وحتى اليوم.

على صعيد السياسة الخارجية: يمكن للسياسة الخارجية أن تكون مصدرًا أساسيًا من مصادر القوة الناعمة لأية دولة خاصة إذا كانت تحمل قيمًا سامية أو مبادرات تعزز العلاقات الثنائية والإقليمية والدولية ويمكن للسياسة الخارجية أن تزيد من فعالية وتأثير القوة الناعمة للبلاد إذا ما نُظِر إليها من قِبل الدول الأخرى والشعوب الأخرى على أنها شرعية وأخلاقية وفي حالة إيران، تكتسب السياسة الخارجية أهمية قصوى لأنها المصدر الأكبر من مصادر توليد القوة الناعمة للبلاد والأكثر فعالية وتأثيرًا على الإطلاق ويتضمن الدستور الإيراني إشارة واضحة إلى السياسة الخارجية للبلاد ضمن الفصل الأول المخصص للأصول العامة؛ إذ يشير البند ١٦ من المادة الثالثة من الفصل الأول من الدستور إلى هذا الموضوع بالقول: تنظَّم السياسة الخارجية للبلاد على أساس المعايير الإسلامية والالتزامات الأخوية تجاه جميع المسلمين والحماية الكاملة لمستضعفي العالم.

أما الفصل العاشر فيتضمن أربع مواد، تقول المادة ١٥٢: تقوم السياسة الخارجية لجمهورية إيران الإسلامية على أساس الامتناع عن أي نوع من أنواع التسلط أو الخضوع، والمحافظة على الاستقلال الكامل، ووحدة أراضي البلاد، والدفاع عن حقوق جميع المسلمين، وعدم الانحياز مقابل القوى المتسلطة، وتبادل العلاقات السلمية مع الدول غير المحاربة.

وهذا يُعتبر مصدرًا أساسيًا من مصادر القوة الناعمة لدى إيران، وإذا ما أُضيف إلى الأيديولوجية الإيرانية وهي عبارة عن مجموعة من الأفكار الثورية والمبادئ الدينية، فإنها تُعد المصدر الأساسي والأكبر في توليد القوة الناعمة للبلاد.

تمدد الحدود الإيرانية والقوة الناعمة

لا يمل بعض المسؤولين الإيرانيين من تذكير العرب واللبنانيين والسوريين بالتاريخ الإمبراطوري القديم لبلادهم في معرض المفاخرة بامتداد نفوذهم إلى البحر الأبيض المتوسط، فيثيرون حفيظة هؤلاء آخرهم كان أحد قادة الحرس الثوري السابقين الجنرال إبراهيم همداني، الذي قال إن بشار الأسد يقاتل بالنيابة عن إيران، وإن بلاده مستعدة لإرسال ١٣٠ ألف مقاتل من الباسيج إلى سورية جُندوا في مختلف المحافظات الإيرانية، وعن تشكيل حزب الله السوري وقبله كان مستشار المرشد الأعلى الفريق يحيى رحيم صفوي أعلن أن حدود بلاده الغربية تصل إلى جنوب لبنان، في إشارة إلى ذراع إيران في لبنان، أي حزب الله، وإلى الوجود المباشر للحرس لكن الأهم في كلامه قوله إنها المرة الثالثة التي يبلغ فيها نفوذنا سواحل البحر الأبيض المتوسط، في إشارة أخرى إلى حدود الإمبراطوريتين الفارسيتين الأخمينية سنة ٥٥٠ قبل الميلاد، والساسانية سنة ٢٢٦ بعد الميلاد وبين التصريحين أذيع خبر

عن أن بين جثث الذين يعادون إلى إيران نتيجة القتال في سورية، أفغاناً من اللاجئين إلى بلاد فارس من بلادهم.

وفي عودة سريعة إلى مراجع التاريخ القديم، نجد أن الإمبرطورية الأخمينية بلغت أوجها باحتلال آسيا الوسطى والصغرى وغزو جيوشها جنوب روسيا ومناطق الخليج والمشرق من بابل في بلاد الرافدين إلى بلاد الشام إلى مصر وانهزم الأخمينيون على يد الإسكندر الأكبر المقدوني الذي أقام إمبراطوريته على أنقاضهم أما الإمبراطورية الساسانية، فقد انهزمت على يد الفتح الإسلامي في القرن السادس، بعد أن كان توسعها في بعض أوروبا أدى إلى حروب مستمرة أنهكتها مع الرومان.

وتقول كتب التاريخ إن ملوك الفرس اهتموا بتنظيم جهاز الأمن الذي كان يتولاه موظفون عرفوا باسم أعين الملك وآذانه، وكانت مهمته المراقبة والتفتيش في الولايات وإطلاع الملك على أحوالها ولتنظيم الاتصال بين العواصم والولايات شُقّت الطرق وطُوّر البريد وأُصلحت الطرق القديمة ونظمت الرحلات البحرية الاستكشافية للتعرف على خطوط جديدة للاتصال وتراكمت نتيجة ذلك ثرواتٌ كبيرة بلغت أطناناً من الفضة والذهب وكانت الدنانير تنفق في تجنيد المرتزقة وشراء ضمائر العملاء قبل تحريك الجيوش ولقلة النقد من المعادن الثمينة، لجأ ملوك

فارس إلى الاستقراض والاستدانة بالفائدة، ولجأت الدولة الفارسية إلى فرض تصنيع ما كانت تحتاج إليه من الفخار والزيت والخمور على الولايات الغربية في آسيا الصغرى ومصر وسورية، لكن فرض الضرائب كان يؤدي إلى انتفاضات محلية كما وقع في مصر التي استردت حريتها من الاحتلال الفارسي.

وكان سقوط الإمبراطوريتين الإيرانيتين متزامناً مع الصعوبات الداخلية التي عاناها كل منهما نتيجة البطش الذي مارسه ملوكهما على الشعب، وفي الحالتين كانت هناك مبالغات في تصوير اتساع دولة فارس في العصور القديمة، لأن بلاد فارس كانت إبان الإمبراطوريتين في حالة حرب مع الدول الأخرى، وبالتالي لم تكن في أي عصر ثابتة الحدود، التي كانت تتسع في أيام الملوك الأقوياء وتنقبض في عصور الضعفاء.

لكن من المؤكد أن الأحلام الإمبراطورية للمسؤولين الإيرانيين الحاليين لا تتبع وسائل الحكام القدامى، وإن كانوا يتوسلون بعضها الآن وفي المقابل، فإن من يقاومون التوسع الإمبراطوري الموهوم لا يستخدمون الأساليب نفسها للقوى التي أجبرت حكام فارس في العصور القديمة على التراجع عن مساحات توسعت فيها، فليست الحروب هي التي تشكل الخيارات المطروحة عند الدول الغربية والعربية لتقليص حدود ايران وتعتمد هذه الدول على القوة الناعمة وحرب المال

والاقتصاد والعقوبات كأساس في الصراع على امتداد النفوذ وتشكيل الأذرع الأمنية، إضافة إلى المواجهات مع جهاز الأمن الإيراني، الذي يشكل عيون الملك الفارسي وآذانه.

وإذا كان سيمر وقت قبل أن تعود طهران إلى حدودها الطبيعية، فإنها بالقدر الذي تعلن عن تمدد حدودها فإنها ستبقى في حالة حرب مع خصومها للحفاظ على هذه الحدود المترامية،رغماً عن أصحاب الحدود الأصليين وهي لا تبدو مستعدة للتفاوض على أي من هذه الحدود حتى الآن إلى أن يقضي الله أمراً كان مفعولاً، أو إلى أن ينتهي التفاوض على الملف النووي داخل حدودها الأصلية.

معضلات القوة الناعمة الايرانية

ينشغل الخليج بإيران، وتنشغل إيران بالخليج هذا ما كان عليه الحال، وهو ما سيبقى بلا ريب؛ فللجوار مقتضياته وانشغالاته ومكاسبه وأعبائه لكن التقطت إيران أنفاسها ثم تمددت، بعد مخاض التحول الثوري والانغماس في مستنقع الحرب وكان تمدداً معنوياً قبل تسجيل الحضور المباشر في بعض الجبهات، وهو ما يلفت النظر إلى التجربة الإيرانية في تطوير القوة الناعمة وتوظيفها.

والحقّ أنّ حالة إيران جسدت تجربة مهمة من نماذج القوة الناعمة على مستوى الإقليم، فقد عملت بفعالية رغم واقع الحصار والعزل متعدد المستويات، المفروض على طهران منذ ثورة ١٩٧٩، علاوة على أنها أتت من بلد تبنّى خطاباً استثنائياً في السياسة والإعلام والثقافة.

وما لا يصح تجاهله في قراءة التجربة؛ أنّ إيران نشطت في المجالات الثقافية والفنية والأكاديمية، ووظفت حضورها في هذه المجالات للإطلال على الإقليم ككل وعلى العالم بمجتمعاته وثقافاته وعملت المراكز الثقافية الإيرانية كنقطة ارتكاز مباشرة في دعم الدبلوماسية الشعبية في مجالها الثقافي، خاصة مع انسداد مجالات التواصل السياسي الفاعل خلال حقبة الحصار والعزل الطويلة التي أعقبت الثورة الإيرانية وتميّزت السفارات الإيرانية بالحركة الدؤوبة في التواصل، حتى عدّها بعضهم من بين أنشط دول العالم الثالث تقريباً في الدبلوماسية الشعبية والتواصل مع المجتمع المدني، وشمل ذلك أماكن عانت من التجاهل؛ مثل أمريكا اللاتينية وأفريقيا والأقليات المسلمة حول العالم.

وليس خافياً أنّ التجربة الإيرانية توسعت في دبلوماسية المؤتمرات، فاتخذت منها مجال نشط لجذب نخب العالم إلى إيران ومحاولة حمل اهتمامات إيران إلى نخب العالم وتتضافر المؤشرات على أنّ إيران أدارت برامج كرّستها لاستقطاب النخب والكفاءات والأكاديميين

والمفكرين، من أقاليم عالمية شتى، في جهود متعددة المستويات تحركت وفق أنظمة محددة، حسب المؤشرات المتاحة وباشرت إيران مخاطبة عالم متنوع اللغات والثقافات، فسعت إلى تقديم خطاب إعلامي فنضجت تجارب مثل برس تي في بالإنجليزية وهسبان تي في بالإسبانية، وهذه الأخيرة تخاطب واحدة من أوسع لغات العالم انتشاراً، علاوة على محاولات متعددة على الانترنت.

لكن القوة الإيرانية الناعمة تحمل حزمة من المعضلات في أحشائها، فهي تفتعل تناقضات جسيمة بالعمل مثلاً ضمن المجتمعات والشعوب بشكل عام؛ وتركيز التأثير والتواصل والاستقطاب ضمن نطاقات الشيعة والمنظمات والهيئات المعبِّرة عنها بصفة خاصة ولقد أطاح هذا التناقض بكثير من فرص التأثير والتواصل الإيرانية في نطاق العالم العربي والإسلامي، كما أوقع الشيعة في فخاخ الاستعمال الاستراتيجي للخارج الذي يهدد فرص تواصلها مع النسيج الاجتماعي المحلي.

كما ولغ إعلام إيران، أو المحسوب عليها، في خطاب التأجيج الطائفي والحملات المذهبية، فألحق أضراراً جسيمة بالقوة الإيرانية الناعمة، حتى في نطاقات أبدت تعاطفاً مع نموذج الحكم الإيراني بعد الثورة، كبعض العلماء والحركات الإسلامية والأوساط المتدينة.

انكشف عجز القوة الإيرانية الناعمة عن تحقيق مكتسبات فعلية على مستوى الصورة العامة، فقد مضت في التركيز على الاستقطاب الفئوي ضمن المربّعات الطائفية،وعلى جذب أفراد من الصفوة وتوظيفهم لصالحها، وخسرت مقابل ذلك شعوباً وقبائل عبر الأمة الممتدة ثم كان ما كان مع تصاعد الصراعات في العالم العربي، وإبحار إيران المباشر أو غير المباشر في بحيرات الدم التي يرتفع منسوبها كل صباح.

الثقافة الإيرانية الاستراتيجية:

فى مواجهة القوة الناعمة تميل واشنطن إلى التركيز على أصول القوة الخشنة لطهران على حساب قدرات قوتها الناعمة ومع ذلك، قد تكون قوة إيران الناعمة أكثر فعالية كسبيل لاستعراض النفوذ الإيراني في الشرق الأوسط وربما تشكل تهديداً أكبر على المدى الطويل للمصالح الأمريكية في المنطقة.

وتميل واشنطن إلى التركيز على تلك الأصول في القوة الخشنة التي تمنحها تقدير أفضل من غيرها، وليس على تلك التي يمكن أن تكون ذات قيمة أكبر لإيران في أية حرب مستقبلية وهكذا استثمرت أمريكا موارد هائلة في بناء دفاعات ضد ترسانة إيران الصاروخية لكنها تفتقد وسائل مواجهة قوات القذائف الكبيرة لإيران وقد بدأت الولايات المتحدة مؤخراً

فقط في إدراك التهديد الذي تفرضه قدرات إيران الحربية البحرية غير التقليدية.

وعن الحرب الدعائية والنفسية يميل صناع السياسة الأمريكيون إلى إساءة تقدير قيمة أداة المعلومات للسلطة الوطنية وعلى النقيض من ذلك، يعتبر صناع السياسة الإيرانيون أن أنشطة المعلومات هي الخط الحاسم لعملياتهم.

ولم تكن الولايات المتحدة فعالة في منع طهران من استغلال الغموض الذي يكتنف الكثير من سياساتها سواء العمليات التي يقوم بها وكلاؤها أو برنامجها النووي والاستخبارات التفصيلية وأنشطة المعلومات العدوانية وسياسة الثأر الموثوقة، جميعها محورية في منع طهران من استغلال سياسة الغموض التي تنتهجها.

وتستند استراتيجيات إيران في المراوغة والتأجيل والإستنزاف على افتراض أن الوقت يعمل لصالحها ومع ذلك تُظهر خبرة إيران مخاطر مثل هذه الاستراتيجيات كالمخاطرة بالانهيار والهزيمة، فكانت قد اضطرت إلى إنهاء الحرب بينها وبين العراق دون أي شيء يُظهر جهودها كما أن التحديات التي تواجه اللعبة الطويلة الحالية التي تمارسها إيران تشمل معارضة داخلية من المحتمل أن تكون قوية وإن كانت هامدة حالياً وتحديات اقتصادية كبرى وبالأخص هبوط صناعة

النفط لديها إن فشلت في جذب الاستثمارات الأجنبية واحتمال خسارة حليفها السوري بسبب الانتفاضة الشعبية ضد نظام الأسد ويتعين على الولايات المتحدة مواصلة استغلال نقاط الضعف تلك لتعطيل الاستراتيجية طويلة المدى التي تنتهجها طهران.

القوة الخشنة والقوة الناعمة في الاستراتيجية الإيرانية

لم تتجاهل إيران أصول قوتها الخشنة وقد سعت لنيل قدرات مستقلة من خلال استغلال قربها من مضيق هرمز والخليج ونقاط ضعف خصومها وتحديداً كراهية الولايات المتحدة لتفضيلها الحروب القصيرة كما تسعى إيران لتقوية البنية التحتية التي ستحتاج إليها لبناء أسلحة نووية لو قررت فعل ذلك.

وكثيراً ما اعتمدت إيران على بدائل مسلحة مثل حزب الله اللبناني والجماعات الخاصة الشيعية في العراق لإبراز النفوذ في الخارج حيث كان حزب الله رائداً في استخدام التفجيرات الانتحارية وصواريخ ساحات القتال كأنظمة قصف استراتيجية ضد إسرائيل، وشنت حماس حملات تفجير انتحارية وكانت سبّاقة في استخدام الصواريخ المحلية الصنع، ضد إسرائيل أيضاً، في حين أن الجماعات الخاصة الشيعية في العراق قد استخدمت قذائف التفجير الثاقبة والعبوات الطائرة ضد القوات الأمريكية هناك وإذا قامت إسرائيل أو الولايات المتحدة بمهاجمة البنية التحتية

النووية الإيرانية، فمن المرجح أن تنتقم إيران عن طريق حزب الله والجماعات الخاصة الشيعية في العراق ووكلاء آخرين.

كانت المملكة المتحدة والاتحاد السوفيتي قد احتلتا إيران، وخشيت من قيام احتلال آخر بعد فشل إنقاذ الرهائن الأمريكيين عام ١٩٨٠ وغزو الولايات المتحدة للعراق عام ٢٠٠٣ وللتعامل مع تهديد الغزو المتظر خلقت إيران الباسيج وهي ميليشيا شعبية مساعدة يسيطر عليها فيلق الحرس الثوري مهمتها الأساسية هي الأمن الداخلي وشن حرب شعبية ضد الغازي وسوف تقوم القوات البحرية النظامية والأخرى التابعة لفيلق الحرس الثوري بتوظيف تكتيكات السرب والألغام والصواريخ المضادة للسفن والقوارب الصغيرة والغواصات الصغيرة والتقليدية والسباحين المقاتلين والصواريخ والقذائف لتعطيل الملاحة في الخليج والتحكم في المرور عبر مضيق هرمز.

وعادة ما يتم تصور قوة الصواريخ الإيرانية وبشكل رئيسي كوسيلة لحمل شحنات متفجرة غير تقليدية وتُرى بشكل أدق على أنها قوة ردع تقليدية و قتالية لها قدرة على حمل شحنات متفجرة غير تقليدية وتنتج إيران عائلة كبيرة من الصواريخ التقليدية التي قد يصل مداها إلى ٣٠٠كم وهي تنوي استخدامها على الأرجح في إكمال قوتها الصاروخية كسلاح إرهاب شامل ضد مدن العدو وهذا التأكيد على أنظمة القصف

الاستراتيجية التقليدية درس مستفاد من الحرب الإيرانية العراقية عندما أدت هجمات الصواريخ التقليدية على طهران أثناء حرب المدن عام ١٩٨٨ إلى إجلاء ربع سكان المدينة مما ساهم في إضعاف معنويات الشعب الإيراني ثم أدى في النهاية إلى قرار إنهاء الحرب ولطالما أُغفل جانب الصواريخ الإيرانية ضمن هيكل قوتها العسكرية حيث ينصب التركيز عموماً على عائلة صواريخ شهاب الأكبر والأكثر قدرة التي تعطي إيران مداها الطويل وليس لدى الولايات المتحدة أو جيران إيران العرب القدرة على مواجهة قواتها الصاروخية في هذا الوقت، وحالياً تتمتع إسرائيل فقط بالقدرة على إسقاط الصواريخ والقذائف على حد سواء.

وفي تقييم التهديد الذي تفرضه طهران يميل المخططون العسكريون وصناع السياسة الأمريكية إلى التركيز على قدرات القوة الخشنة لإيران وتحديداً قدراتها الحربية غير التقليدية قوة القدس وحزب الله وقدراتها المكافحة للوصول والمانعة للوصول إلى أهداف معينة قوارب صغيرة وألغام وصواريخ مضادة للسفن وقواتها الصاروخية وبرنامجها النووي وهذا يعكس انشغالاً أمريكياً بالقدرات التي يمكن أن تنتج آثاراً فيزيائية وهو ما يبدو متجذراً في التصور الأمريكي للقوة العسكرية التي لا تعبر بالضرورة عن آراء إيران .

وهكذا كان المسؤولون الأمريكيون قلقين من أن الجيش العراقي سوف يكون غير جاهز لتأمين المجال الجوي والمياه العراقية بعد رحيل القوات الأمريكية رغم أن النفوذ السياسي والقوة الناعمة لإيران وتحديداً أنشطتها الاقتصادية والدينية والإعلامية هما على الأرجح اللذان يشكلان تهديداً أكبر على المدى الطويل ضد سيادة واستقلال العراق.

العناصر غير الحركية: وتشتمل قوة إيران الناعمة على العديد من العناصر غير الحركية للقوة الوطنية:

إدارة السمعة والصورة:تقدم طهران نفسها على أنها شريك يمكن الاعتماد عليه وخصم خطير، وتدعم نظرية التفوق التي تؤكد أنها قوة صاعدة، يقف الله والتاريخ في صفها ومع ذلك، تقلصت فعالية تلك الرسائل بسبب الميل إلى المبالغة في الوعود والإخفاق في الإنجاز فضلاً عن المشاكل السياسية والاقتصادية الداخلية والميل إلى إعطاء المحاضرات إلى العرب والآخرين ثم التنازل لهم بعد ذلك.

تصدير الإسلام الثوري: تسعى طهران لأن يكون تفسيرها للإسلام هو الأول بين مجتمعات الشيعة حول العالم عن طريق إنفاق أموال طائلة لدعم أنشطة الملالي المدربين في قم والمتشربين لأيديولوجية ولاية الفقيه واختيار أو إزاحة الملالي المدربين في أماكن أخرى مثل النجف وتسعى لخلق روابط التضامن مع مجتمعات الشيعة حول العالم التي

يمكن أن تكون بمثابة قواعد دعم خارجية لسياساتها وكحلفاء في حال تعرضها للهجوم.

وكلاء الميليشيا: أينما كانت هناك مجتمعات شيعية محاصرة ودول ضعيفة، خلقت إيران ميليشيات تكون وكيلة عنها مثل حزب الله اللبناني والعديد من المنظمات التي هي نسخة من حزب الله في العراق مثل كتائب حزب الله وعصائب أهل الحق وكتائب اليوم الموعود للدفاع عن مصالح المجتمع الشيعي المحلي وتلبية طلباته ونشر ثقافة المقاومة والجهاد والاستشهاد وقد استثمر حزب الله إنجازاته العسكرية كتنظيم مقاومة فحولها بمناورة إلى ثروة سياسية، وهو نفس ما تحاول فعله تلك المنظمات التي هي نسخة منه في العراق.

النفوذ الاقتصادي: تمارس طهران التجارة والاستثمار مع دول أخرى بغرض الربح وتعزيز الاعتماد على بعضها البعض بحيث يمكن أن تستغل ذلك لصالحها وفي العراق على سبيل المثال استخدمت الصفقات التجارية لتعزيز الحلفاء المحليين وأغرقت السوق المحلية بسلع استهلاكية مدعومة فأدت إلى إضعاف قطاعات الزراعة والصناعة العراقية وعلاوة على ذلك، يؤمن الكثير من العراقيين بأن اعتماد العراق على إيران في بعض احتياجاتها من الكهرباء هو سبيل تتلاعب به طهران لأغراض سياسية فعلى سبيل المثال، في يونيو عام ٢٠١٠ قيل إن إيران قد

خفضت إمدادات الكهرباء للبصرة لتعزيز مزاعم الصدريين بأن الحكومة كانت تتباطأ في توصيل الخدمات لهم٠

الدعاية والتشويش: تتنافس إيران على قلوب وعقول العرب من خلال البث الإخباري باللغة العربية الذي يعكس خط طهران الدعائي وتُظهر بيانات الاستطلاعات أن العرب بل حتى الشيعة العراقيون يشعرون بالريبة تجاه إيران ولا يعتبرون طريقة الحكم فيها بوجه عام نموذجاً قابلاً للتطبيق وتفسر المواقف الشعبية السبب في أن طهران ستواصل الاعتماد على القوة الناعمة وأجهزتها الأمنية وأنشطتها السرية لإظهار النفوذ في العالم العربي.

وسوف تعتمد الفرص المستقبلية لقوة إيران الناعمة على الاتجاه المستقبلي للعلاقات العراقية الإيرانية والوجهة العامة للعلاقات الإيرانية العربية والسنية الشيعية في الخليج في أعقاب التدخل الذي قادته السعودية في البحرين والمكانة المستقبلية لبرنامج إيران النووي الذي ربما يكون هو مصدر التمكين الحربي النفسي النهائي لطهران في المنطقة وما وراءها.

بنية القوة الإيرانية وآفاقها

يمثل قياس القوة لدولة معينة أحد إشكالات دراسة العلاقات الدولية، وقد تعددت المناهج في هذا النطاق، فبنى البعض قياسه على متغير واحد كالمتغير العسكري، أو الاقتصادي بينما تم القياس لدى آخرين على أساس تعدد متغيرات القوة والسكان، المساحة، القدرة العسكرية، إجمالي الناتج المحلي، التطور التكنولوجي، الكفاءة الإدارية... إلخ.
وشكّلت دراسة كليفورد جيرمان عام ١٩٦٠ محاولة جادة في مجال ضبط قياس القوة للدولة من خلال المعادلة التالية: قوة الدولة= القدرات النووية (المساحة + السكان + حجم القاعدة الصناعية + حجم القوة العسكرية) وقد تمت تجزئة كل متغير من المتغيرات السابقة إلى متغيرات فرعية، وأعطى كل متغير فرعي وزنًا بمقدار ما يُرى له من أهمية في تشكيل المتغير الرئيسي أما الباحث فكس Wilhelm Fucks فقد وضع معادلة تقوم على قياس القوة على النحو التالي(٣): القوة = إنتاج الطاقة بالكيلو واط + إنتاج الصلب بالطن x الجذر التكعيبي لعدد السكان.

أما ديفيد سنجر J. David Singer فقد قدّم نموذجًا للقياس يقوم على المعادلة التالية: القوة = نسبة سكان الدولة من العالم + نسبة الحضر إلى سكان الدولة + نسبة إنتاج الدولة من الصلب والحديد إلى العالم + نسبة استهلاك الطاقة في الدولة إلى العالم + نسبة الإنفاق العسكري إلى العالم + نسبة العسكريين إلى عدد السكان÷ ٦.

أما بول كينيدي Paul Kennedy فقد ربط بين صعود وهبوط القوى العظمى من خلال متغيرين، هما: النمو الاقتصادي والقوة العسكرية، وهو أمر مكّنه من التنبؤ بتراجع المكانة الأميركية منذ حوالي ربع قرن غير أن كافة هذه المناهج بقيت موضع جدل كبير حتى الساعة، لاسيما أنه لابد من الأخذ في الاعتبار عددًا من الجوانب مثل:

حجم القوة مقاسة من خلال متغيراتها المادية والمعنوية.

فن إدارة القوة، أي الذكاء والرشد في توظيف القوة لتحقيق أكبر قدر من المكاسب أو أقل قدر من الخسائر، وهو أمر ليس من السهل قياسه.

نتائج القوة، أي أن معيار القوة هو فيما تحققه من نتائج وليس في الكم بالمعنى الرياضي المباشر.

بناء على ما سبق فإن قياس القوة الإيرانية لابد أن يتبنى منظورًا معينًا لقياس القوة من ناحية، مع الأخذ في الاعتبار نسبية القوة خاصة قياساً لقوة الخصوم .

صحوة الشيعة بوصفها قوة إيران الناعمة

تمثل إيران حالة معقدة بالنسبة إلى العالم الخارجي؛ فمنذ الثورة سنة ١٩٧٩، وعلاقات إيران مع جيرانها العرب وغير العرب وأوروبا والولايات المتحدة الأميركية وكثير من الدول الغربية كانت صعبة على

أقل تقدير وأدى العداء المتأصل مع الولايات المتحدة وبريطانيا إلى عداء بين إيران ومعظم الدول العربية، لاسيما مع جيرانها في منطقة الخليج ؛ فالعلاقات الوثيقة بين دول الخليج والغرب جعلت الجمهورية الإسلامية في إيران تنظر إلى هذه الدول بوصفها أعداء محتملين ومع ذلك، لم تخض إيران الإسلامية حرب مع الدول العربية الموالية للغرب، خاضتها مع حليف السوفيت، عراق صدام حسين.

وكان من شأن الحرب التي استمرت ثمانية أعوام مع العراق أن عمّقت العداء بين إيران والغرب وكذلك مع العالم العربي كله باستثناء سوريا وبعد ٢٣عاماً من انتهاء الحرب مع العراق، ظلت علاقات إيران مع كثير من الدول العربية، لاسيما دول الخليج المجاورة لها، باردة وغير ودية كما كانت خلال الحرب كما أن الصراع مع الغرب مستمرٌ بلا هوادة وفي حين يبدو أن برنامج إيران النووي هو لُبّ الصراع، نسي الكثيرون أن الصراع بين إيران والغرب، خاصة مع الولايات المتحدة، يتجاوز برنامج إيران النووي المثير للجدل وأدى التزام إيران بموقفها الفريد من نوعه على مدى ٣٣ سنة إلى العديد من النظريات والتحليلات والتفسيرات، بعضها واقعي وبعضها الآخر كان مضلّلاً وساذجًا إلى درجة لا تُصدَّق.

لقد نجت إيران من الحرب الشرسة التي استمرت ثمانية أعوام مع العراق، وهي الحرب التي تلقّى فيها العراق دعمًا ماليًا كبيرا من دول الخليج العربية الغنية،وأسلحةً دفاع وهجوم ثقيلة من الغرب والشرق لاسيما من الاتحاد السوفيتي، واستخدم فيها الأسلحة الكيميائية على نطاق واسع، بينما ظل العالم الخارجي يغضّ الطرف عن فظائع صدام حسين، كما نجت إيران من ثلاثة عقود من العقوبات التي قادتها الولايات المتحدة ورغم أن العقوبات اشتدت كثيراً الماضية، والبلاد تواجه تهديداً عسكرياً خطراً من إسرائيل والولايات المتحدة، إلا أن النظام لا تبدو عليه علامات الذعر من الغرب أو الاستسلام له، وإن كان الضرر قد لحق بإيران بلا شك؛ حيث لم تكن الحياة سهلة بالنسبة إلى معظم الإيرانيين خلال كثيرٍ من السنوات الثلاثة والثلاثين الماضية ومع ذلك، يبدو القادة الإيرانيون واثقين من دعم القاعدة الشعبية،لاسيما في المناطق الريفية من البلاد.

الإسلام الشيعي والقوة الناعمة

يشكّل الدين قبل كل شيء أقوى سلاح في ترسانة القوة الناعمة لدى إيران كما تشكّل معاداة الغرب،لاسيما الولايات المتحدة، ومعاداة إسرائيل العنصرين الثاني والثالث من عناصر قوتها الناعمة ويشكّل المذهب الشيعي، والتفسير الراديكالي الذي صاغته المؤسسة الدينية الإيرانية

خلال السنوات الماضية، العنصر الرابع من عناصر القوة الناعمة أما العنصر الخامس فيكمن في شعور الإيرانيين القومي الذي يُقارب الشوفينية وسنتناول ما يمكن تسميته أقوى ركائز القوة الناعمة لدى النظام الإسلامي: الإسلام.

برز الإسلام الشيعي بوصفه أعتى قوة خلال الثورة الإسلامية سنة ١٩٧٩؛ فقد بلغت قوته أنه لم يَقُد الكفاح الثوري ضد الشاه محمد رضا بهلوي فحسب، بل شكّل في نهاية المطاف البنية الأيديولوجية الفوقية لإيران الجديدة بعد الثورة علاوةً على ذلك، ظل الإسلام القوة المهيمنة في الجمهورية الإسلامية على مدى ٣٣ سنة خَلَت لم يفهم كثيرٌ من المحللين الغربيين فهمًا صحيحًا ودقيقًا أن دور العقيدة لم يقتصر فقط على تشكيل نسيج إيران المعاصرة، بل تعدّاه إلى تشكيل علاقاتها مع العالم الخارجي، وكانت السمة الأبرز للإسلام الإيراني هي الراديكالية ولم تبرز هذه الميزة بوصفها أهم ما يميز الثورة الإيرانية عام ١٩٧٩ فحسب،ولكن قوتها تنامت في إيران ما بعد الثورة وليس من قبيل المبالغة القول: إن هذه السمة بالذات أثرت في معظم علاقات إيران مع العالم الخارجي أو أعطتها شكلها؛ فمعاداة النظام الإيراني للغرب، والدول العربية المحافظة، وإصراره على إبادة إسرائيل، وبرنامجه النووي المثير للجدل، ودعمه للجماعات الفلسطينية مثل حماس والجهاد الإسلامي، وعلاقاته مع حزب الله، ودعمه لنظام الأسد في سوريا، بل كل

تعامل آخر للنظام الإسلامي في إيران مع العالم الخارجي، ينبع من النظرة العقيدية التي يتمسك بها قادة إيران وتفسير قادة إيران للإسلام هو القوة الدافعة التي تشكّل إستراتيجيتهم داخل البلاد وخارجها لذلك، فإن فهم هذا الإسلام الراديكالي الذي يؤمن به القادة الإيرانيون يُعدَّ شرطًا أساسيًا لفهم إستراتيجيات وسياسات النظام الإيراني داخليًا وخارجيًا.

التشيع فى إيران

دخلت إيران في الإسلام في عهد عمر بن الخطاب في النصف الأول من القرن السابع الميلادي، إلا أن هناك خلافاتٍ بشأن كيفية تحول الإيرانيين إلى الإسلام؛ يقول القوميون الإيرانيون: إن الفاتحين العرب استخدموا القوة لإجبار الإيرانيين على الدخول في الإسلام أما الإيرانيون الأكثر تدينًا فيقولون: إن ظلم النظام الحاكم في إيران واستبداده جعلا العديد من الإيرانيين يرحبون بالفاتحين ويعتنقون الإسلام طوعًا وسواء اعتنق الإيرانيون الإسلام طوعًا أم كَرْهًا؛ فالحقيقة هي أن إيران أصبحت جزءًا من الإمبراطورية الإسلامية الجديدة الناشئة، وصار الإيرانيون مسلمين بذات الطريقة التي أصبح فيها عرب شبه الجزيرة العربية مسلمين بنهاية القرن السابع الميلادي وعلى عكس ما يعتقد الكثيرون،

لم يكن الإيرانيون شيعة،رغم وجود أقلية شيعية ضئيلة متناثرة في جميع أنحاء إيران، كما هي الحال في البلاد العربية وخلال القرون اللاحقة برز عدد من السلالات الحاكمة المحلية الإيرانية في الجزء الشمالي الشرقي من إيران البعيد جدًا عن تأثير حكم بني العباس في بغداد كان بعض هؤلاء الولاة أكثر استقلالاً عن بغداد بينما عدَّ الآخرون أنفسهم خدمًا للخلفاء، لكنهم جميعًا ظلوا على ولائهم للخلفاء العباسيين في بغداد وفي الوقت نفسه كانوا سُّنة استمرت هذه العلاقة لأكثر من ثمانية قرون وفي بداية القرن السادس عشر تمكن تحالف من القبائل التركية من الأناضول والجزء الشمالي من إيران بالقرب من بحر قزوين من تشكيل سلالة جديدة تسمى الصفويين جاء ظهور هذه القوة الجديدة تقريبًا على ذات النمط الذي سارت عليه إيران خلال تلك القرون الثمانية التي اعتنقت فيها الإسلام لكن كان هناك فرق جوهري بين هذه السلطة الجديدة وبقية القوى التي ظهرت خلال تلك القرون الثمانية؛ حيث كان الصفويون شيعة، وحين تعاظمت قوتهم أجبروا الإيرانيين على التشيع.

تبيَّن أن تشكيل السلالة الصفوية في إيران في بداية القرن السادس عشر هو نقطة تحول في تاريخ البلاد منذ اعتناقها الإسلام، كما كان أيضًا علامة في تاريخ التشيُّع لقد ظهر التشيع بعد وفاة النبي محمد ص بوصفه شُعبةً من شُعَب الإسلام،وكان نزاع الشيعة مع جُمهور المسلمين أولاً وأخيرًا نزاعًا سياسيًا؛ إذ نشأ من الخلاف على من يخلف النبي

فالشيعة يعتقدون أن عليًّا، ابن عم النبي وصهره، كان يجب أن يخلفه، كما اعتقدوا لاحقًا أن نسل علي هم وحدهم الحكام الشرعيون في الإسلام ورفضوا مبايعةَ الخلفاء الرسميين وكانوا يعُدّون جميع الخلفاء، مهما بلغ تُقاهم، نواصب لا شرعية لهم وفي الحقيقة، يرى الشيعة أنه لا تقوم حكومة إسلامية شرعية إلا إذا كان على رأسها إمامٌ معصومٌ من الشيعة.

ومنذ غزو العراق وسقوط صدام حسين عام ٢٠٠٣، جرى كلام كثير عما يسمى الهلال الشيعي وتزعم هذه النظرية في أبسط أشكالها أن النظام الإيراني يحاول خلق منطقة هيمنة شيعية تمتد من إيران إلى العراق وسوريا وتنتهي في لبنان ويهدف هذا الهلال في المقام الأول إلى محاربة السُّنَّة وزعزعة استقرار الأنظمة العربية الموالية للغرب ويشير أصحاب نظرية الهلال الشيعي إلى الدعم الإيراني للنظام العراقي ذي الغالبية الشيعية، ونظام بشار الأسد في سوريا وحزب الله في لبنان كما يشيرون كذلك إلى علاقات طهران العدائية تجاه معظم الأنظمة العربية في المنطقة؛ فالأزمة السورية التي اصطفت فيها قطر والسعودية وتركيا ضد إيران والنظام السوري ذي الغالبية العلوية أشعلت الصراع بين الشيعة والسنة.

فشلت الصحوة الشيعية كقوة سياسية في أن يكون لها أثرٌ كبير بين الشيعة خارج إيران؛ فالشيعة خارج إيران لا يستحقون دعم إيران إلا إذا

كانوا معادين للولايات المتحدة، وإلا فإن النظام الإسلامي في طهران سيتجاهلهم وبمعنى أوسع، لم تُفلح الصحوة الشيعية، كعقيدة سياسية، في استقطاب الشيعة الآخرين في المنطقة؛ فشيعة البحرين، على سبيل المثال،يستلهمون القيم الديمقراطية من الربيع العربي أكثر مما يستلهمونها من موقف إيران المتشدد في عدائه للولايات المتحدة والغرب وبشكل عام ينطبق نفس الانطباع فيما يبدو على حركات الشيعة الأخرى في مختلف الدول العربية في المنطقة بما في ذلك شيعة العراق.



الباب الثالث

الأدوات والمتغيرات وإدارتها

أدوات القوة الناعمة الإيرانية

يُقصد بها القنوات التي يتم من خلالها وعبرها ممارسة وتوجيه القوة الناعمة للبلاد، على اعتبار أن أية قوة ناعمة إنما تحتاج إلى تحديد اتجاه المنطقة أو الجهة المستهدفة في سياق منظم بما يخدم الأهداف القومية العليا.

حاول النظام الإيراني عام ٢٠٠٥، استغلال كل مصادر القوة الناعمة وأدواتها التي تتمتع بها إيران ضمن إستراتيجية واحدة تتضمن سياسة واضحة لتوظيف القوة الناعمة في سياق الإستراتيجية الوطنية الكبرى للبلاد لتكون أكثر فعالية في خدمة مصالح إيران القومية والسياسة الخارجية للبلاد وقد وضع النظام في ذلك العام وثيقة تُعرف باسم الإستراتيجية الإيرانية العشرينية ٢٠٠٥-٢٠٢٥، أو الخطة الإيرانية العشرينية إيران:٢٠٢٥وتُعتبر أهم وثيقة قومية وطنية بعد الدستور الإيراني، حيث تضع تصورات المستقبل لدور إيران خلال عشرين عاماً، وتهدف إلى تحويل البلاد إلى نواة مركزية لهيمنة تعددية داخلية في منطقة جنوب غرب آسيا أي المنطقة العربية تحديداً التي تشمل شبه الجزيرة العربية وبلاد الشام وسيناء.

وتنص الوثيقة على أن طهران ستحظى بخصوصية على المستوى الدولي، وتتحول إلى قوة دولية ومصدر إلهام للعالم الإسلامي، على أن

ينعكس ذلك إقليميًا عام ٢٠٢٥، لتحتل إيران المرتبة الأولى في منطقة جنوب غرب آسيا اقتصادياً، وعلمياً، وتكنولوجياً، وتصبح نموذجاً ملهماً ولاعباً فاعلاً ومؤثراً في العالم الإسلامي استناداً إلى تعاليم الخوميني وأفكاره، وبما يعكس هويتها الثورية.

وتعطي الوثيقة أهمية قصوى للمنطقة المحيطة بإيران وتضم خمسة نظم تحتية، هي: شبه القارة، والشرق الأوسط العربي، والخليج العربي، والقوقاز، وآسيا الوسطى وهي مناطق تستهدفها القوة الناعمة الإيرانية بالدرجة الأولى وفق عدد من الأدوات، منها:

أولاً: الأدوات الثقافية

تمتلك إيران ترسانة هائلة من الأدوات التي تساعدها على توجيه مصادر القوة الناعمة الثقافية للبلاد في الاتجاه المراد الذي يحقق في نهاية المطاف مصالح البلاد العليا وأهدافها الإستراتيجية وتتوزع هذه الأدوات على مستويات متعددة من المواضيع داخل البناء الثقافي، ومنها:

ـ الثقافة الإيرانية الفارسية: والمتابع لتركيز الدولة على العنصر القومي الفارسي يدرك أهمية هذه الأداة في الترويج للقوة الناعمة الإيرانية على الصعيد الإقليمي خاصة ما يُعرف في إيران باسم مشروع حوزة إيران

الحضارية أو إيران الكبرى، وتشمل وفقًا لمحسن رضائي المنطقة الواقعة على حدود الصين شرقا والمحيط الهندي جنوبًا والخليج العربى غربًا والقوقاز والبحر المتوسط شمالاً وفي هذه الحوزة كما يقول رضائي تحظى الثقافة الفارسية بأهمية خاصة لأنها ترتبط بالحوزة الحضارية الإيرانية، والمكانة العلمية والإستراتيجية التي تحظى بها في هذه المنطقة تجعل منها فاعلاً محوريًا.

وتحظى هذه المنطقة بأهمية قصوى في الإستراتيجية الإيرانية لكنها تأتي في المرتبة الثانية بعد الخليج العربي والمنطقة العربية وفق الاستراتيجية الإيرانية العشرينيّة ايران:٢٠٢٥ وتنفق إيران أموالاً طائلة على مستوى الترويج الثقافي لخدمة مشروعها القومي ولإعطاء فكرة عن الموضوع، بلغت موازنة إيران الثقافية عام ٢٠٠٨ حوالي ٢٥٠٠ مليار تومان، ذهب منها ٣٨٦ مليار تومان [(١)] إلى وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، والباقي صُرِف على أنشطة الدعاية والترويج الثقافي الإيراني خارطة لمشروع حوزة إيران الحضارية أو إيران الكبرى

---

١) صحيفة روز الإيرانية، ١-٦-٢٠٠٨.

التي تشمل العنصر الفارسي وتتوزع هذه الأدوات على مستويات متعددة من المواضيع داخل البناء الثقافي، ومنها:

- بعض الأذرع الإيرانية المعنية بالترويج للثقافة الإيرانية.

- مراكز تعليم اللغة الفارسية.

- مستشاريات الثقافة الإيرانية.

- المدارس الإيرانية في الخارج.

- المركز الإسلامي للحوار بين الحضارات.

- الأدوات الدينية (التشيع الإيراني ومبدأ الولي الفقيه) حيث يشكّل الشيعة في العالم باختلاف فرقهم ما بين ٧,٦% إلى ١٣% كحد أقصى من مجموع المسلمين أجمعين، ويتمركز أكثر من ثلث هؤلاء في إيران وحدها لذا فإيران تشكّل مركز الجاذبية لهؤلاء ليس على المستوى المذهبي فقط إنما على المستوى السياسي أيضاً على اعتبار أن السياسة والدين متمثلان في الولي الفقيه المرشد الأعلى الذي يمتلك قوة ناعمة هائلة بحكم الموقعَيْن لدى أتباعه المنتشرين ليس داخل إيران فقط إنما خارجها أيضاً، والذين يقومون بشكل تطوعي إرادي بخدمة مصالح إيران نظراً لطبيعة العلاقة الدينية التي تربطهم بتبعية الولي الفقيه

لارتباط الدين بالسياسة بشكل وثيق لأن الأخير قائدًا سياسيًا لإيران إلى جانب كونه مرجعًا دينيًا.

وتعمل إيران على نشر فهمها للنموذج الشيعي المتمثل فى ولاية الفقيه حول العالم، كما تُعلي من شأن قم كإطار مرجعي مقابل النجف لتخريج الأئمة الموالين لها والذين يعملون كسفراء لقوتها الناعمة ينشرون رسائل إيران الدينية والثورية والإعلامية والثقافية والسياسية وعلى عكس الأداة الثقافية، تركز أداة التبشير على الخليج العربي الذي يحتل الأولوية في الإستراتيجية الإيرانية العشرينية إيران ٢٠٢٥[١] والمنطقة العربية وأفريقيا [٢] وقد ساعد ذلك على تقوية موقع قم في اجتذاب أبناء المنطقة، ويبدو ذلك واضحاً من خلال رؤية تركيبة البيت الشيعي في لبنان والذي تحول جزء كبير منه من مرجعية النجف إلى قم خلال أقل من عقدين، ناهيك عن أن عدد الطلاب العرب الذاهبين إلى قم ازداد مقارنة بما كان عليه سابقًا؛ فعدد البحرينيين في قم على سبيل المثال لا الحصر زاد عن نظيره في النجف بخمسة أضعاف تقريبًا عام

١) إيران والفكر الإقليمي ـ محسن رضائي بازتاب ٠ ٢) ، النفوذ الإيراني الناعم في القارة الأفريقية ـعوض عثمان ٠

٢٠٠٩وتسعى طهران لتوحيد الأقليات الشيعية أينما وُجدت تحت رايتها، وتستخدم أيضًا المصطلحات التي تساعد على توسيع نفوذها في هذا الإطار لنشر التشيع في بيئات أخرى كالوحدة الإسلامية، والتضامن الإسلامي، والتسامح والحوار بما ينعكس مكسباً سياسياً.

المجمع العالمي لأهل البيت:للتعريف بالتشيع الإيراني والولي الفقيه، ومتابعة أخبار الشيعة حول العالم، وإصدار الكتب الشيعية بكل اللغات تنقل بعض المصادر وضعه لخطط تتعلق بكيفة تفعيل شيعة العالم في أجندة سياسية٠

منظمة التبليغ الإسلامية : لنشر ثقافة التشيع عبر مختلف الأنشطة، والتعريف بالأدب الفارسي والثقافة الإسلامية والثورة الإيرانية، وتهيئة رجال دين للقيام بتأدية الأدوار السابقة وتتلقى دعماً مالياً من وزارة الثقافة، بلغ حجمه عام ٢٠٠٨ حوالي ٣٠ مليار تومان٠

مجمع التقريب بين المذاهب : يهدف إلى تجاوز الدائرة الشيعية إلى الإطار الأوسع في البيئة السنية وعمله يحمل طابعاً دعائيًا وترويجيًا للاختراق بقوة ناعمة، ويتلقى دعماً من وزارة الثقافة، بلغ حجمه عام ٢٠٠٨ حوالي ٥ مليارات و٧٠٠ مليون تومان٠

مكاتب تمثيل المرشد الأعلى في الخارج: وتقوم على حماية المصالح التي يمثلها المرشد الأعلى والترويج لقيادته، وتقديم دعم مالي لطلاب الحوزات الدينية والإشراف على أداء عمل مؤسسات إيران في الخارج٠

الحوزات الدينية في الخارج: وتقوم على نشر تعاليم وفقه عقيدة الشيعة، وقبول الطلبة من غير الشيعة وإعطائهم منح دراسية في قم بعد إكمالهم مرحلة ما يعرف بالمقدمات في بلدانهم٠

مؤسسة الخوميني للإغاثة: ذات طابع اقتصادي خدمي، ولها انتشار واسع في عدد من الدول الإقليمية، ونشطت مؤخرًا في أفغانستان أيضًا

- الأدوات الإعلامية: تمتلك إيران إمبراطورية إعلامية هي الأكبر على مستوى المنطقة وواحدة من أكبر الإمبراطوريات الإعلامية في منطقة آسيا- الهادئ والعالم وتسيطر وكالة بث الجمهورية الإسلامية الإيرانية IRIB - وهي مؤسسة حكومية يشرف عليها شخصيًا المرشد الأعلى على السياسات الإعلامية الخاصة بجميع محطات التليفزيون والإذاعة في البلاد بما يتناسب مع توجهات الدولة.

وترتبط الوكالة بعدد من الوزارات بالثقافة الخارجية ويتم استخدامها لخدمة الرسائل التي تصدر عنهم فيما يتعلق بالترويج للثورة الإسلامية والثقافة الإيرانية والدبلوماسية العامة وتشير المادة ١٧٥ من الدستور

بوضوح إلى أن حرية التعبير ونشر الأفكار يجب أن تتم عبر IRIB وبما يتناسب مع القوانين الإسلامية والمصالح القومية للبلاد.

أما الخدمة الدولية لIRIB، فتهدف إلى إعلام الجمهور الخارجي، والترويج للتاريخ الإيراني والحضارة الإيرانية والثقافة الإيرانية لكل مهتم بالحصول على نظرة واقعية عن إيران وغناها الحضاري عبر آلاف السنين وتقوم هذه الوكالة بنشر وترويج قيم النظام الإيراني والموقف الرسمي للحكومة الإيرانية بخصوص التطورات الداخلية والدولية.

وكالة بث الجمهورية الإسلامية IRIB : يتم دعمها مالياً من وزارة الثقافة بـ٤٥٧ مليار تومان عام ٢٠٠٨ وللوكالة مصدرها الخاص أيضًا للتمويل والعائدات التي تأتي من احتكار الإعلانات وقد بلغ عدد المكاتب الخارجية التي تمتلكها٤٥ دولة مهمة حول العالم، من بينها: الولايات المتحدة، وبريطانيا، وفرنسا، وبلجيكا وماليزيا وبلغ عدد لغات البث ٣٠ لغة عالمية وعدد التليفزيونات المحلية ٣٠ تليفزيونًا محليًا نصفهم بلهجات محلية وعدد المحطات الوطنية ٨ محطات تليفزيون وطنية وعدد المحطات الفضائية ٦ محطات تليفزيون فضائية للمشاهدين خارج إيران وعدد المحطات الإخبارية الدولية ٤ محطات دولية إخبارية للخارج تبث باللغات: العربية، والإسبانية، والإنجليزية.

ثانيًا: أدوات في السياسة الخارجية

تستخدم إيران عدة قضايا في السياسة الخارجية لتوجيه قوتها الناعمة وبالتالي توسيع قاعدة نفوذها وتأثيرها على الصعيد الإقليمي، ومن بين هذه الأدوات:

- التشيع السياسي: يُستخدم التشيع في إطار علاقات إيران الخارجية على نطاق واسع وهو عنصر مهم لتوليد القوة الناعمة الإيرانية على مستوى الحاضنة الشيعية الموالية للولي الفقيه بما يخدم المشروع الإيراني في المنطقة ويرى الباحث الإيراني كيهان برزكار أن استخدام التشيع في السياسة الخارجية قديم، لكنه أصبح أكثر فاعلية بعد أزمة العراق عام ٢٠٠٣ حيث دخل التشيع في إفراز السلطة والسياسة في الشرق الأوسط؛ مما أدى إلى تقوية دور ونفوذ إيران، فعنصر التشيع أدى إلى تحويل العراق إلى دولة صديقة ومتحالفة مع إيران، وأعطى حضور فعال ومصيري في قضايا العراق ولبنان، والشرق الأدنى بشكل عام على حد قوله وبمثله يقول الباحث الإيراني والخبير في السياسة الخارجية الإيرانية في طهران فرزاد بيزيشكبور في مقال له بعنوان إيران وميزان القوى الإقليمي إن النظام العراقي بقيادة صدام حسين لم يعد موجوداً اليوم، أما النظام الثاني المعادي لإيران والمتمثل فى نظام طالبان الأفغاني فقد تم التخلص منه واليوم فإن القادة الجدد للعراق وأفغانستان أكثر قرباً لإيران من أي طرف آخر، وبدلاً من صدّام لدينا الآن رئيس عراقي غير عربي وفخور بمعرفته وإتقانه اللغة الفارسية،

وعدد كبير من أعضاء الحكومة العراقية والبرلمان العراقي كانوا قد أمضوا سنوات طويلة في إيران وأنجبوا أولاداً لهم هنا ودخلوا مدارس طهران وتعلموا بها كذلك يحتل الشيعة اليوم في العراق ولبنان والبحرين مواقع مهمة داخل الأنظمة السياسية لبلدانهم مما يعطي إيران اليد العليا في المنطقة.

ـ الخطاب الثوري المعادي لأمريكا والغرب: استطاعت إيران من خلال هذا الخطاب أن تكسب قطاعات واسعة من الرأي العام لصالحها لاسيما على الصعيد الإقليمي،واستغلت حساسية هذه القاعدة تجاه أمريكا والغرب ووظّفتها في إطار سعيها لتعزيز قوتها الناعمة في المنطقة.

ـ القضية الفلسطينية: وتهدف من خلال خطاب دعم القضية الفلسطينية إلى تخطي حزام من شملتهم في العنصرين السابقين، وكسب قطاعات واسعة لدى الرأي العام لصالحها، واستقطاب الشارع لخلق بيئة مناسبة لتقبل الدور الإيراني الإقليمي عبر هذا الباب.

حدود القوة الناعمة الإيرانية

إذا ما تم الأخذ فى الاعتبار أن مصاعب جمة تعترض طريق قياس القوة الصلبة لأي بلد والتي من المفترض أنها قابلة للقياس أصلاً نظرًا للمعطيات الكمية المرتبطة بها، فإن قياس القوة الناعمة لدولة ما يصبح

مستحيلاً، ناهيك عن أن الأخيرة لا تستند إلى معيار كمي في العادة حتى يمكن قياسه.

وعلى الرغم من ذلك يذهب البعض إلى محاولة خلق مؤشرات يمكن الاعتماد عليها في قياس القوة الناعمة لبلد ما، فيما يذهب البعض الآخر إلى القول بأن استطلاعات الرأي قد تكون مؤشرًا جيدًا فى حد ذاته يعبّر عن مدى فعالية القوة الناعمة لدولة ما من عدمها رغم افتقاره أيضًا إلى قياس كمي.

أول محاولة لقياس القوة الناعمة عبر مؤشر مركب كانت من قبل معهد الحكم في بريطانيا، واستندت إلى قائمة واسعة من الحسابات الإحصائية المرتبطة بمصادر القوة الناعمة لـ٢٦ دولة وقد تم تنظيم الإحصائيات وفق خمسة مؤشرات فرعية تستند إلى: الثقافة، والدبلوماسية، والتعليم، والأعمال/الابتكار، والحكم ليتم من خلالها قياس القوة الناعمة لبلد ما، دون التطرق إلى تأثيرها.

وبالنظر إلى قائمة الدول التي صدرت عن المعهد، نرى أنها لم تضم إيران على الإطلاق، علمًا بأنها ضمت كلاً من الدول الإقليمية المجاورة لإيران: الإمارات وتركيا عام ٢٠١٠ في المرتبة ٢٤ و٢٥ على التوالي، فيما احتلت تركيا المرتبة ٢٣ في ترتيب عام ٢٠١١.

ومثله خلا تقرير الأسواق الصاعدة عن القوة الناعمة الذي يتضمن الدول النامية عادة من أي موقع لإيران في الترتيب العام .

ولا يعني ذلك أن إيران لا تمتلك قوة ناعمة بشكل مطلق، فقد سبق وشرحنا مصادر وأدوات قوتها الناعمة، لكن ذلك يعني بالتأكيد أن إيران فشلت في أن تضع نفسها في أي تصنيف للقوة الناعمة على الإطلاق. ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه وعلى الرغم من تمتع إيران بمصادر متعددة لإنتاج القوة الناعمة، وعلى الرغم من توجيه هذه القوة الناعمة من خلال أدوات، عمل النظام الإيراني على تفعليها بما يخدم الأجندة الوطنية العليا للبلاد على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، إلا أن مدى فعالية وتأثير هذه القوة الناعمة الإيرانية في الإطار الجيوبوليتيكي يبقى محدودًا لعدة معطيات، لعل أبرزها:

أولاً: من الناحية الاقتصادية

فشلت إيران في تقديم نموذج اقتصادي يكون مصدرًا للقوة الناعمة فلا هي قدمت نموذجًا اقتصاديًا كما فعلت الصين، ولا هي قدمت قصة نجاح اقتصادي كما فعلت تركيا، واعتمدت على المال السهل كدولة ريعية لاستخدامه كأداة مولدة للقوة الناعمة.

وفي هذا الإطار، يشير الباحث الإيراني شهرام شوبين إلى أن النموذج الاقتصادي الإيراني نموذج فاشل بامتياز حتى مقارنة مع جيران إيران الصغار في الجنوب والذين انتقل إليهم عدد لا يُستهان به من رجال الأعمال الإيرانيين فقد فشلت إيران في تنويع اقتصادها أو في الاستثمار في البنية التحتية المرتبطة بالطاقة وأدى تراكم الفساد وسوء إدارة الاقتصاد وتعويم الحكومة له إلى فشل ذريع وتدعم هذا التقييم نتائج التحليل الاقتصادي الذي قام به الباحث جهانجر أموزجار خلال السنوات من ٢٠٠٥ وحتى ٢٠١٠ للأداء الاقتصادي لإيران مقارنة بالخطة الإستراتيجية الخمسية الرابعة.

ثانيًا: من الناحية السياسية

فشلت إيران أيضاً في بناء نموذج سياسي جاذب يعمل على توليد القوة الناعمة، ولم يجد أي نوع من أنواع التعاطف ولم يستطع أن يروج لإيجابياته كما هو الحال بالنسبة لتركيا مثلاً، بل إن الفجوة بين النظام الثوري والمجتمع ما بعد الثوري بدأت تتسع وانعكس ذلك بشكل سلبي على صورة النظام حتى العراق الذي كان يفترض كثيرون أنه سيتأثر بالتجربة الإيرانية، لم يختر نظاماً سياسياً مشابهاً .

ويعتبر البعض أن الديمقراطية الإيرانية ديمقراطية شكلية واقعها ثيوقراطي ومضمونها ديكتاتوري على اعتبار أن المرشد الأعلى يمتلك

صلاحيات تفوق تلك التي يمتلكها أي سلطوي في العالم ويستند إلى شرعية دينية وسياسية معاً، ويجمع إلى سلطاته صلاحيات أخرى كثيرة كما جاء في المادة ١١٠ من الدستور)، ويسيطر على كل المجالس في البلاد، بعضها تابع له والبعض الآخر خاضع لنفوذه.

كما يعاني النظام من مشاكل هائلة في موضوع الحريات ، فأقلية مثل الأقلية السنية التي تشكّل ما بين ٩ % إلى ٢٠ % على الأقل من سكان إيران لا يحق لها الوصول إلى أي منصب تنفيذي رفيع وعملياً تم حرمان ما بين ٧ إلى ١٤ مليون مواطن إيراني على الأقل بشكل آلى وبموجب الدستور من تولي الرئاسة أو أركان الجيش أو القضاء ناهيك عن المناصب الأخرى كما بيّنت الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩ أن النظام يعاني مشاكل هيكلية متجذرة؛ فقد أضرت هذه الانتخابات بصورة النظام الإيراني بشكل خطير في المنطقة والعالم، وكان لها بالغ الأثر في تعزيز هذه الصورة السلبية لدى شريحة واسعة من عامة الناس وأيضاً لدى النخبة المثقفة ؛ ففي العالم العربي على سبيل المثال، تعززت النظرة إلى إيران كدولة ثيوقراطية لا تحترم الحريات، ولا تقيم وزناً للقانون، وتقمع شعبها وتغرق في التزوير والفساد.

ثالثًا: من الناحية الثقافية

لا يُعد العنصر الثقافي الفارسي سواء المتعلق باللغة أو الحضارة عامل جذب أو تأثير واسع بالمعنى العام ؛ إذ إن تأثيره محدود ومرتبط بشكل مباشر بمنطقة آسيا الوسطى لكن حقيقة أن معظم شعوب هذه المنطقة هم من القومية التركية، فإن هذا يحد بطبيعة الحال من النفوذ الإيراني حال كان اللاعب التركي حاضراً سيما وأن الأخير يمتلك مؤهلات فيما يتعلق بالقوة الخشنة أو الناعمة أكبر من تلك الموجودة لدى إيران.

رابعًا: من الناحية المذهبية

تبقى حقيقة أن إيران تتبع المذهب الشيعي ومزجه مع القومية الفارسية وتحديدًا مبدأ ولاية الفقيه،عاملاً معرقلاً لهدفها في قيادة المنطقة أو توليد قوة ناعمة كافية تخولها القيام بتحقيق هذا الهدف دون الاعتماد على قوة صلبة بل إن هذا العنصر قد يلعب في كثير من الأحيان دورًا سلبيًا في تعميق عزلة إيران الإقليمية خاصة عندما تعمد إيران إلى الاعتماد على العامل الطائفي لحشد الأقليات الشيعية في المنطقة، وتعجز عن برهان أنها لا تتعامل بسياسات طائفية في كثير من المحطات، وهو الأمر الذي يؤدي إلى رد فعل أوتوماتيكية برفض الفكر الإيراني أو المشروع الإيراني في المنطقة لاسيما في الخليج والعالم العربي.

وقد أظهر استطلاع أجراه معهد تيسيف في العالم العربي ونشر نتائجه في نوفمبر٢٠١٢، أن إيران تأتي على قمة هرم الدول التي يعتقدون أنها تتبع سياسة طائفية إلى جانب كل من العراق وسوريا، وهو ما يعني فشلاً إيرانيًا في استخدام هذا العنصر لصالحها.

<u>الآفاق المستقبلية وإدارة متغيرات القوة</u>

يمكن تحديد الآفاق المستقبلية لإيران خلال الفترة حتى عام ٢٠٢٠ من خلال تحديد المتغيرات المركزية للقوة وفن إدارتها (مع ملاحظة أن الورقة استثنت متغيرات القوة الناعمة من الذكر بشكل كبير) على النحو التالي[١]:

١-على المستوى الداخلي : تبين من خلال مؤشرات عدم الاستقرار السياسي، وقياس الاتجاه Trend لها خلال الفترة من ١٩٧٩-٢٠١٠، ثم إسقاط النتائج على المستقبل من خلال تقنية السلاسل الزمنية أن معدل الاستقرار في إيران سيبقى في حدود ٦٢% حتى عام ٢٠٢٠، وقد تحدث بعض التوترات في حدود عام ٢٠١٧ لكنها لن تؤدي لتغير جذري في بنية النظام، وقد تطول بعض صلاحيات المرشد الأعلى

١- مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠ إيران -وليد عبد الحي ، مرجع سابق ص٤٤٧- ٥٥٨

أو كيفية انتخابه فقد يتم انتخابه من الشعب مباشرة وليس من مجلس الخبراء، أو قد يصبح مجلساً، أو قد يتم إلغاء المنصب.

سيتواصل اتجاه التحسن في مؤشر التنمية البشرية رغم التذبذب في مساره، وستبقى إيران حتى تلك الفترة ضمن مجموعة الدول الوسطى العليا.

سيبقى مستوى معدل الإنفاق على الدفاع إلى إجمالي الناتج المحلي هو الأقل بين دول المنطقة مع تزايد في الاعتماد على الإنتاج العسكري المحلي بالتعاون مع بعض الدول مثل روسيا والصين وكوريا الشمالية.

وتشير مستويات التطور في المجال العلمي إلى تسارع كبير، وقد أدى الحصار الدولي إلى تعزيز هذا التوجه الإيراني ليصل الإنفاق على البحث العلمي عام ٢٠١١ إلى حوالي ٦,٣ مليار دولار.

لن تتراجع إيران عن برنامجها النووي تحت أي ظرف من الظروف، مع استمرار انتهاجها لإستراتيجية الغموض النووي وستبقى هذه الإستراتيجية عند حدود العتبة النووية على الأقل حتى عام ٢٠٢٠.

٢- على المستوى الإقليمي

ستعمل إيران على جعل عضويتها المحتملة في منظمة شنغهاي هدفاً مركزياً لها، وقد يفتح لها ذلك في حال تحققه آفاقا تعوضها عن الانحسار

على الساحة الأوروبية والأمريكية، لاسيما في ظل الدور المركزي لكل من الصين وروسيا في هذه المنظمة ودورهما في التأثير على مناطق الجذب الإستراتيجي لإيران .

لن تتوقف إيران عن السعي لتعميق دورها في العراق خلال الفترة القادمة، كما لن تتوقف عن جهودها لإقناع دول الخليج بأية ترتيبات إقليمية تجعل المنطقة أقل تضييقاً على إيران وتفتح لها بعض النوافذ، غير أن هذا الأمر لا ينفصل عن طبيعة علاقاتها مع الولايات المتحدة بشكل محدد، فإذا مالت هذه العلاقات نحو مزيد من التوتر فإن هذه الآفاق تصبح أكثر احتمالاً للانغلاق، والعكس صحيح.

ويبدو أن إيران تراوح في سياستها الخارجية في مجال البعد المذهبي بين خيارين:

الأول: خيار إستراتيجي يدفع بها بعيداً عن استخدام المذهب الديني كأداة سياسية نظراً لما ينطوي عليه من مخاطر على البنية الداخلية في إيران لاسيما إذا تعمق مثل هذا التوجه في المنطقة وبشكل يتقارب مع توجهات مشروع الشرق الأوسط الكبير[1] الذي طرحته الولايات المتحدة والقائم

١- مشروع الشرق الأوسط الكبير- وليد عبد الحي .

على افتراض إعادة تشكيل المنطقة على أساس الحدود الاجتماعية بدلاً من الحدود السياسية.

الخيار الثاني: وهو خيار تكتيكي يقوم على استثمار الاستعداد الذاتي لقوة محلية للارتباط بإيران، بمعنى أن لا ترفض إيران استعداد قوى سياسية ذات خلفية شيعية تسعى للتعاون معها، ويكفي في هذا الجانب الإشارة إلى أن إيران غير متهمة من قبل باكستان ذات العدد الكبير بأنها تستغل البعد المذهبي رغم العدد الكبير للشيعة في باكستان على غرار ما تُتَّهم به من قبل دول الخليج العربية، كما أنها أقامت علاقات وطيدة مع حركة حماس الفلسطينية السنية بمثل ما عمّقت علاقتها مع حزب الله، في الوقت الذي تعد علاقاتها مع جمهورية أذربيجان ذات الأغلبية الشيعية المطلقة هي الأسوأ بين دول أقاليم الجذب الإستراتيجي.

ونستبعد مواجهة عسكرية شاملة بين إسرائيل وإيران وقد تحدث بعض العمليات المتبادلة كالاختراقات الأمنية أو الاغتيالات أو ما شابه نظرًا للتكلفة الهائلة التي قد تصيب الطرفين، وقد نصل لمرحلة القبول الدولي التدريجي بإستراتيجية الغموض النووي الإيراني على غرار القبول بإستراتيجية الغموض الإسرائيلي، كما أن المعارضة الدولية للبرنامج النووي الكوري الشمالي والهندي والباكستاني لا تشير لتراث ناجح في مجال منع انتشار السلاح النووي.

ونميل إلى أن تطور النظام السياسي في كل من تركيا وإيران سيكون له أثر كبير في ترشيد العلاقة بين الطرفين مهما تضاربت مصالحهما، وسيعمل الطرفان على لجم عوامل التناقض بينهما، بما يتيح لهما استمرار تطويرها ومن غير المحتمل أن تسمح النخبة السياسية المصرية غير الدينية بأن تعود حالة القطيعة بين إيران ومصر كما كانت عليه الحال خلال الفترة من ١٩٧٩ إلى الآن، رغم أن الخيارات الإستراتيجية للدولتين قد تتلاقى في بعض الجوانب وتتنافر في جوانب أخرى.

ج- على المستوى الدولي

العلاقة مع الولايات المتحدة: يبدو أن إيران تبني إستراتيجية التفاوض مع الولايات المتحدة على أساس إدراكها أن إستراتيجية التمدد الزائد التي حذّر منها بول كينيدي في دراسته بدأت تفعل فعلها في السلوك الأمريكي من خلال عدة مظاهر:

قلة نتائج للحرب على العراق وأفغانستان رغم التكلفة السياسية والبشرية والاقتصادية لهما والتنامي الهائل في الإنفاق العسكري الأمريكي الذي جعل مجموع الإنفاق الأمريكي يتساوى تقريبًا مع مجموع الدول التسع التي تليها في قائمة الدول العشر الأكثر إنفاقا عسكريًا في العالم.

وضعف نتائج السعي للتصالح مع المجتمعات الإسلامية، ومحاولة تجفيف مصادر ما تعتبره الولايات المتحدة إرهاباً وقد انعكست هذه المؤشرات على السلوك الأمريكي الذي أصبح أكثر نزوعاً لقدر من التلكؤ في نطاق اللجوء السريع للقوة العسكرية، وهو ما عززته الأزمة المالية الدولية التي لا يزال تأثيرها موجوداً، ناهيك عن استكمال الانسحاب من العراق والاستعداد للانسحاب من أفغانستان،والحديث عن توجهات جديدة للإستراتيجية الأمريكية نحو منطقة الباسيفيكي لمواجهة الصعود الصيني ويبدو لنا أن الولايات المتحدة تسعى لإقناع العالم خاصة إسرائيل وبعض الدول الأوروبية بأن تأثير المقاطعة الاقتصادية سيصل بإيران إلى حد الرضوخ في برنامجها النووي، بينما ترى إيران أن البرنامج النووي هو البعد الأكثر شعبية بين أفراد مجتمعها، ولدى أغلب القوى السياسية على اختلاف توجهاتها، وهو ما يساعد على امتصاص الاحتقان الاجتماعي نظرًا لإدراك المجتمع أن جزءاً من هذا الاحتقان مرتبط بمنع إيران من استكمال برنامجها.

وتستند إيران إلى منظور إستراتيجي آخر وهو الاعتقاد بأن روسيا والصين بدآ يشكّلان قوة معرقِلة لمحاولة العودة الأمريكية للتمدد التي ما زال الجمهوريون في أغلبهم يتبنونها، وقوة موازية لاسيما في إطار المنظور المستقبلي وترى كل من روسيا والصين أن إيران تقع في قلب المجال الحيوي لكل منهما، وهو ما يفسر السلوك الروسي مع سوريا

الحليف الأكثر أهمية لإيران وترى إيران أن مجموعة البريكس BRICS التي تضم البرازيل وروسيا والهند والصين وجنوب أفريقيا تشكل قوة مساندة لها رغم بعض قيود الحصار التي التزمت بها هذه المجموعة.

انعكاس مؤشرات القوة على السلوك الخارجي

يمكن أن نحدد الأهداف الرئيسية لإيران في هذا الجانب في بعدين، هما:

الهدف بعيد المدى: ويتمثل في تحقيق هدف الحصول على مكانة القوة المركزية في منطقة الشرق الأوسط؛ فطبقًا لما ورد في مشروع رؤية ٢٠٢٥ [١] الذي أعده مجلس تشخيص مصلحة النظام، فإن المشروع يستهدف تحويل إيران إلى قوة إقليمية أساسية في منطقة جنوب غرب آسيا التي تشمل ٢٥ دولة (آسيا الوسطى وتركيا، وباكستان، وأفغانستان، وتضم الدول العربية: اليمن والعراق وعمان وسوريا والسعودية والأردن والإمارات العربية وفلسطين والكويت وقطر ومصر

١- مستقبل المكانة الإقليمية - وليد عبد الحي عام٢٠٢٠ ص.٢٥٩

ولبنان والبحرين)أي أنها تمتد من مصر إلى اليمن إلى باكستان إلى قرغيزيا وإلى أرمينيا وتركيا ولبنان وتتضمن وثيقة الرؤية خططًا بعيدة المدى للقطاعات الاقتصادية والاجتماعية والعلمية والتكنولوجية كما تقوم على المنافسة الصحية وليس الصراع، وإيران لن تكون مصدر تهديد لأحد، وتقول الوثيقة: إن هذه المنطقة تضم ٥٣٠ مليون نسمة وبمساحة ١٢ مليون كم٢، وعلى إيران أن تكون الأولى بين دول هذه المنطقة.

وتقوم الرؤية الإيرانية على أن المتغير المركزي لتحقيق المكانة الإقليمية هو معدل النمو الاقتصادي، ولضمان الفوز لابد أن يكون معدل النمو الإيراني اقتصاديًّا في حدود ٨% عام ٢٠٢٥، وترى الخطة أن اتجاه النمو منذ ١٩٩٥ إلى ٢٠٠٦ يشير إلى إمكانية تحقيق ذلك وتفترض أن التوجه الدولي العام يسير نحو تصالح تدريجي بين قوى دولية كبرى وإيران، كما ترى ضرورة بناء الثقة بين دول جنوب غرب آسيا.

الهدف قصير ومتوسط المدى: يشكّل الحصار الدولي المتزايد على إيران بحجة البرنامج النووي الإيراني موضع العناية الرئيسية للدبلوماسية الإيرانية، ومن المؤكد أن تأثير هذا الحصار يتزايد بشكل متواصل (انخفاضًا حادًا في صادراتها النفطية، فقد تراجع حجم صادراتها النفطية

من ٢,٤ مليون برميل يومياً عام ٢٠١١ إلى ٨٠٠ ألف برميل في شهر يوليو ٢٠١٢، أي بخسارة ثلثي الصادرات (أوروبا كانت تستورد ٢٣ % من النفط الإيراني)، إلى جانب صعوبة تحصيل الأموال نتيجة القيود على المصارف والتضييق على النشاط المصرفي، تراجع قيمة الريال الإيراني بنسبة عالية، ضعف الاستثمار الخارجي.. إلخ) ورغم عدم التجاوب النسبي الروسي والصيني والتركي وبعض الدول الأخرى، إلا أن تأثيرات الحصار لا تزال متواصلة؛ الأمر الذي جعل الدبلوماسية الإيرانية تكرس الجهود لتضييق آثار ذلك ولعل الأزمة السورية زادت من المأزق الإيراني.

غير أن مراجعة حالات الحصار الاقتصادي التي فُرضت منذ نهاية الحرب العالمية الثانية حتى عام ٢٠١٢ تشير إلى ١٧٢ حالة، كانت نسبة الفشل فيها حوالي ٦٠ % والملاحظ أن نسبة الفشل تتزايد في الحالات التي تكون فيها بنية النظام الدولي قائمة على أساس تعدد الأقطاب أو الثنائي القطب، وهو أمر بدأت ملامحه تتشكل مع تنامي الدور الروسي والصيني بشكل واضح؛ مما يعزز من فرص إيران في التسلل من شقوق التنافس القطبي لتحسين فرصها في مقاومة الضغط، كما أن بعض العوامل قد تزيد من قدرة إيران نسبياً كبقاء سعر النفط فوق المئة دولار، وكلما زاد الوضع السياسي الإقليمي تأزماً ارتفعت الأسعار لصالح إيران، فوقف أوروبا للاستيراد من إيران رفع السعر

حوالي ١٣ دولاراً حتى بلغ السعر ١١٦ دولاراً، وقد أدت العقوبات لتخفيض مبيعات إيران النفطية أكثر من ٦٠ %، لكن العائدات انخفضت ٣٠ % فقط بسبب ارتفاع أسعار الوقود.

ارتفاع قيمة الصادرات غير النفطية بنسبة ٢٩ % خلال العام الحالي مقارنة بالعام الماضي وبلغت هذا العام ٤٣,٨ مليار، وأهم الشركاء التجاريين هم تركيا وأفغانستان والعراق والصين والإمارات.

خفض الاستيراد بنسبة ٤,١ % خلال العام الحالي.

من ناحية ثانية لابد من إيلاء أهمية للتطور العلمي الإيراني، الذي قد يؤسس في المراحل القادمة لقاعدة تساهم في النهوض بشكل متسارع؛ إذ تدل البيانات المختلفة على أن إيران تحتل المرتبة الأولى عالمياً في معدل النمو في الإنتاج العلمي المنشور، ويتضاعف إنتاجها كل ثلاث سنوات، كما أن معدل نموها في الإنتاج العلمي يصل إلى ١١ ضعف المعدل العالمي، كما تحتل مرتبة متقدمة في الفروع العلمية ٠

ويشير استقراء تطور النظام السياسي الإيراني خلال الفترة من ١٩٧٩-٢٠١٢ إلى بنية الضبط والتوازن التي مكّنت النظام من قدرة تكيّف عالية مكنته من امتصاص الضربات التي طالت قياداته في المراحل الأولى،والاستنزاف الشديد لقدراته خلال الحرب العراقية

الإيرانية لفترة ثماني سنوات، ومن ضبط أي اختلال في بنية النظام من خلال توازن ذاتي تساهم فيه مؤسسات تكبح جماح بعضها البعض عبر ثنائية مصممة بشكل قصدي واضح: (جيش-حرس ثوري، مجلس شورى-مجلس صيانة الدستور، مجلس خبراء- مجلس تشخيص مصلحة النظام، المرشد-الرئيس، مجلس الأمن القومي-الحكومة) ورغم أن هذا الضبط يبدو نظرياً في بعض الأحيان لكنه فاعل في أحيان أخرى، مع إقرار بدور مركزي للمرشد الأعلى لاسيما في التوجهات الإستراتيجية العليا.

وإذا كان معدل الاستقرار السياسي مؤشرًا على درجة نجاح النظام في التعامل مع تعقيدات البيئة الداخلية والخارجية، فإن هناك تراجعاً في درجة الاستقرار في إيران خلال الفترة من ٢٠٠٧-٢٠١٢، وهي الفترة التي عرفت تراجعاً في مؤشرات الاستقرار في ١٥٣ دولة من أصل ١٦٥ دولة جرى قياسها؛ مما يستدعي التنبه إلى أن ظاهرة عدم الاستقرار التي هي ظاهرة عالمية أكثر منها ظاهرة إيرانية فقط في هذه الفترة ناتجة عن تحولات بنيوية في النظام العالمي.

ويمكن تحديد المخاطر التي تحيط بالنظام السياسي وقدرته على إنجاز إستراتيجيته في بُعدين: الأول: هو الضغط الدولي عليه بسبب برنامجه النووي، وإذا كان هذا البعد يؤثر اقتصادياً على المجتمع الإيراني بشكل

متزايد، فإن المجتمع يساند نظامه في هذه المواجهة مع البيئة الدولية نظرًا لاقتناع قطاع واسع من الإيرانيين بحقهم في امتلاك الطاقة النووية بل وحتى التسلح النووي لدى شريحة أقل، وهو ما كشفته العشرات من استطلاعات الرأي الغربية والإيرانية في إيران[1] أما الضغط الثاني وهو الضغط الداخلي لاسيما في نطاق الحريات السياسية، فإن نقطة التضارب تتركز في أن الشحنة الدينية في النظام السياسي أقوى منها في المجتمع، وهو أمر يمهّد لتباعد تدريجي بين الطرفين، قد يأخذ مساراً متعرجاً بين صعود وهبوط، لكن الاتجاه العام يسير نحو التباعد الذي قد تبدأ ملامحه الأولى فى الظهور بوفاة المرشد الأعلى الذي يبلغ حاليًا ٧٣ عاماً.

لكن النظرة العامة تشير إلى أن إيران دولة تمتلك رؤية إستراتيجية تصرّ على بلوغ هدفها المركزي وهو تحقيق مكانة الدولة المركز في غرب آسيا ورغم أن إيران لن تبلغ هذه المكانة حتى عام ٢٠٢٠ بحكم المعوقات الداخلية والخارجية، إلا أن الاتجاه العام لحركتها يشير إلى أنها تسير نحو هذا الهدف، رغم ما يبدو من كرّ وفرّ في علاقاتها الدولية والإقليمية، وهي تستند في ذلك إلى إمكانيات وسطى عليا، فإذا كان معدل الاستقرار مؤشراً على مدى نجاح النظام السياسي في إدارة متغيرات

١ـ مستقبل المكانة الإقليمية عام ٢٠٢٠ـوليد عبد الحي ، ص ٣٦٦ـ٣٦٨

قوته، فإن النظام حقق حوالي ٦٤% من الاستقرار، بما يوازي ذات النسبة في مدى نجاحه في إدارة متغيرات القوة.



الباب الرابع

نطاق القوة الناعمة الإيرانية

قوة إيران الناعمة فى العالم الاسلامى:

يعتقد جوزيف ناي أن الرئيس محمود أحمدي نجاد بسط قوة إيران الناعمة في العالم الاسلامي بسبب مواقفه ضد الكيان الصهيوني وأن المواقف التي اعتمدها ازاء الكيان الصهيوني وانتقاداته الشديدة له تعتبر من أهم العوامل التي أدت إلي بسط قوة إيران الناعمة لدي العالم الاسلامي[١] .

ولدي إجابته علي سؤال عن تقييمه لإستخدام أمريكا القوة الناعمة ضد ايران قال ان أي شخص أو حكومة بإمكانها استخدام هذه القوة حتي ايران بإعتبارها زعيمه الشيعة تبذل جهودها لإستقطاب الآخرين من خلال القوة الناعمة وأمريكا لأنها زعيم الديمقراطية تستخدم هذه القوة لكسب الآخرين ودور القوة الناعمة يكمن مثلاً في أن أحداً يصبح ناصراً لإيران بسبب ثورتها وهذا لايعني أن ذلك الشخص أصبح من المعجبين بها من خلال رسالة معينة وهذا الأمر يمكن أن يحدث لأمريكا بسبب ديمقراطيتها وايران التي أصبحت رمزا للتحرر ونشر القيم والمباديء التي تؤمن بها باتت تواجه الاحترام من البقية لذا فإن قوتها الناعمة

---

(١) القوة الناعمة – المؤلف ص ١٣٨

تزداد فى الدول الاسلامية بسبب انتقادها أمريكا لإحتلال العراق بين المسلمين وهو ما نشاهده لدي الشعب العراقي حالياً٠

<u>إيران تتغلغل في أفغانستان بالقوة الناعمة</u>

هناك اتهامات توجه للدور الإيراني في أفغانستان تتمثل في العبث بالنسيج الديمغرافي في الجارة ، عبر دعم طهران قومية هزاره الشيعية من أجل التمدد وشراء الأراضي فقد شكل أفغانستان ساحة رخوة لإيران من أجل بسط النفوذ عبر عناوين مختلفة تتأرجح بين الثقافي والاقتصادي والاجتماعي وصولا إلى السياسي وتشير التقارير إلى أن من بين عدة أدوار تتطلع إليها الدول في أفغانستان، كان الدور الإيراني هو الأكثر إثارة جدلاً، إذ شكلت عوامل عرقية وثقافية ومذهبية ولغوية مشتركة أرضية لهذا الدور.

المؤسسات التعليمية والثقافية والإغاثية كانت الوجه الأبرز لنفوذ إيران في الساحة الأفغانية بنظر المراقبين، لكن ذلك لا يعني أن الحضور في أروقة السياسة كان خافياً، فكثير من النواب في البرلمان الأفغاني يدافعون عن سياسة الجارة الغربية إيران، بينما ينتقد آخرون ذلك الدور ويقول عضو البرلمان الإيراني نادر خان كتوازي في تصريح لموقع طلوع نيوز الأفغاني الذي يبث أخباره باللغة الفارسية، إن إيران تعمل

منذ ٣٥ عاما في افغانستان في السر والعلن، وهي سبب اختلافنا ويجب أن نقف ضدها ونفضح الجهات التي تعمل لصالحها.

وعلى مستوى الإغاثة، أنشأت إيران مؤسسة الخوميني للاغاثة وهي من أبرز معالم هذه القوة الناعمة الإيرانية، ويعمل فيها ٣٠ ألف موظف في افغانستان، وتشكل جزءاً من انفاق يبلغ ٥٠٠ مليون دولار، بحسب تقارير وعلى مستوى التعليم، فقد شيدت طهران مؤسسة خاتم النبيين التي تضم جامعة ومدرسة دينية ومركزا ثقافية وعلى المستوى الإعلامي تشير التقارير إلى أن إيران تهيمن على نحو ٣٥ مؤسسة إعلامية وصحفية،وكل ذلك يأتي وسط اتهامات لإيران بالعبث بالنسيج الديمغرافي في أفغانستان، عبر دعم قومية هزاره الأفغانيين الشيعة من أجل التمدد وشراء الأراضي.

والتمدد الإيراني الذي يشير إليه كثيرون على أنه وليد اخفاق القوى الإقليمية في الحضور، لم يخف أيضاً التحديات الراهنة بالنسبة إلى طهران وأبرزها المياه وتهريب المخدرات واللاجئون الافغان الذين يستنزفون اقتصادها، كما تقول .

<u>الحرب الناعمة فى لبنان:</u> إذا أردنا التركيز في تتبع الحرب الناعمة في مواجهة الواقع الشيعي الناهض، سنلاحظ الحرب على المقاومة الإسلامية وحزب الله في لبنان من خلال دعم بعض الهيئات شبه

الصوفية التي تمّ تفكيكها فانقلبت المعركة إلى حرب على مصطلح ولاية الفقيه وإلى عمل إعلامي وسياسي دؤوب لتسخيف إنتصار ٢٠٠٦ بالمقارنة الظالمة بينه و بين الخسائر المادية والبشرية التي وقعت على الشعب اللبناني، وهو الأسلوب نفسه الذي اعتمد في تسخيف إنتصار غزّة وصمودها وهناك موارد كثيرة للحرب الناعمة على حزب الله والمقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وغيرها .

وعن كيفية تطبيق حرب الأفكار في العالم الإسلامي، نلاحظ بعض المواقع الإلكترونية وتعاملها مع الطّرق الصُّوفية لامن جهة إتهام هذه المواقع ولكن من جهة فهم دلالات عناوينها على مضامين تصب في حرب الأفكار والتغيير الثقافي، ونلاحظ الاهتمام البريطاني بالترخيص للجنة الدفاع عن الدراويش في إيران، والترخيص للمجلس الصوفي العالمي المعتمد من وزارة الخارجية البريطانية، وكذلك عناية البيت الأبيض بالمجلس الإسلامي الأعلى الذي يرأسه الشيخ هشام قباني،صهر الشيخ ناظم الحقاني القبرصي والذي يهدف إلى رسم مستقبل المسلمين في أمريكا و العالم ونلاحظ هذا الاهتمام غير المبرر بإيجاد محطات فضائية صوفية تدافع وتهاجم بل وتكفر وأعداء الإسلام يعملون على تزكية النزاعات: سنة- شيعة، سنة- صوفية، شيعة- صوفية، صوفية- صوفية .

القوة الناعمة الإيرانية واستهداف الهوية الأحوازية

كثيرا ما يتم التداول في المجالس والاجتماعات عن الغزو الثقافي الفارسي للثقافة العربية في الأحواز واستهدافها بغية مسخ الهوية الأحوازية وطمسها إلى غير رجعة وبالرغم من كثرة هذه الأحاديث، لكنها بقيت حبيسة في البديهيات والمسلمات، واكتفت فقط بمقولة يجب مقاطعة الفرس ولم يتم تفكيك هذا الغزو الثقافي إلى عناصره الجوهرية بطريقة واعية والخوض في تفاصيله ومعالجته ولم يتم تشخيص العناصر التي يجب مقاطعتها ولم يتم تناول طرق المقاطعة.

تعتمد الدولة الفارسية في سياساتها بموازاة القوة الصلبة التي توظفها لقمع الشعب العربي الأحوازي واضطهاده، على القوة الناعمة التي تجعل المواطن الأحوازي يُعجب بالدولة الفارسية وبثقافتها وقيمها، ويميل إليها طواعية وينخرط في صفوفها ثم ينصهر ويندمج في مجتمعها وأهم عناصر القوة الناعمة التي تستخدمها الدولة الفارسية في غزوها الثقافي للمجتمع الأحوازي، اللغة الفارسية والعادات والتقاليد والرموز الفارسية، والمعتقدات الطائفية التي تتستر بلباس مذهبي وديني،وبعض القيم السياسية مثل حقوق المرأة والمشاركة في الانتخابات.

لا أحد يخالف انتشار قيم سياسية مثل حقوق المرأة والمشاركة في الانتخابات،ولا أحد يبغض الشعب الفارسي ويكره لغته أو عاداته وتقاليده لكن التسليم بهذا المبدأ له ظروفه الخاصة أي في حال كانت الأحواز تتمتع بسيادتها الوطنية وتعيش حالة طبيعية مثلها مثل سائر دول المنطقة والعالم أمّا في الحالة التي يعيشها الشعب العربي الأحوازي فالوضع يختلف تماماً ويجب التعامل مع هذه العناصر بالمنطق الصحيح وبدقة وحذر عندما يتم الترويج في الأحواز لحقوق المرأة فهذا الترويج ليس اهتماما بالمرأة الأحوازية أو اعتناء بالقيم الإنسانية، وإنما يُروج لها بغية غزو نصف المجتمع الأحوازي واعطاءه مظهراً ومضموناً فارسياً ـ من خلال الملابس وطريقة التفكير والسلوكيات واللغة ـالتي لا تمت للواقع الأحوازي والعربي بصلة فتصبح المرأة الأحوازية نسخة طبق الأصل من المرأة الفارسية أمّا المشاركة في الانتخابات والحياة السياسية التي يروج لها الفرس بين أوساط شعب الأحواز فهذا الترويج لا يتكئ على مبدأ الايمان باللعبة الديمقراطية وفتح المجال لكل مكونات الدولة للمشاركة في انتخاب من يمثلها ومن يتخذ قرارات نيابة عنها وإنما يُروج لهذه القيمة السياسية من أجل تلميع صورة الدولة الفارسية خارجياً واعطاءها مظهر ديمقراطي وتقوية موقفها في سياستها الخارجية، وللتمويه والتغطية على الجرائم ومشاريع التدمير الكبرى التي تحدث في الأحواز وأهمها تغيير الديموغرافية الأحوازية واعطاءها

طابعاً فارسياً، وبناء المستوطنات وتوطين غير العرب في الأحواز، وتهجير العرب خارج بلدهم، وسلب الأراضي من العرب ومنحها للفرس شعباً ومؤسسات.

قد يعتبر من الضروريات والحاجات الملحة تعلم المواطن الأحوازي لغات إلى جانب اللغة العربية، فهذه اللغات تسهّل عليه الارتباط والتواصل مع الآخر وتيسر عليه نقل المعلومة أو تلقيها فى أسرع وقت ممكن وبدون أي تغيير في مضمونها لكن ما يحدث في الأحواز يخرج عن هذا الإطار المتعارف عليه والمألوف وما هذا الترويج للغة الفارسية وبكثافة وحماسة مفرطة بين الشعب الأحوازي إلا من أجل استهداف اللغة العربية وتهميشها ونشر اللغة الفارسية بديلاً عنها وبالتالي يعني طمس هوية الأحواز والقضاء عليها فهذا الاهتمام المتزايد في تعليم اللغة الفارسية ونشرها لم يأت حباً فى شعب الأحواز حتى يتعلم لغات عديدة مثل الدول الأخرى في العالم التي تُعلم شعوبها لغات عديدة، إنما يأتي هذا الاهتمام المتزايد باللغة الفارسية والسعي الحثيث لنشرها من أجل العناية بالثقافة واللغة الفارسيتين ومن أجل القضاء على عروبة الأحواز وطمس هويتها ومن يظن غير ذلك ويعتقد بوجوب تعلم اللغة الفارسية باعتبارها اللغة الرسمية والمشتركة عليه أن يسأل نفسه لماذا وكيف أصبحت هذه اللغة رسمية ومشتركة دون غيرها من اللغات في الكيان الفارسي رغم تلك اللغات التي تتفوق عليها في ثراءها وجمالها

فهذه اللغة فُرضت بالعنف والاكراه على الشعوب ولم تأت بقوة غناها وسعتها، ولا يمكن أن تستمر وتحافظ على وجودها وتطورها إلا من خلال تهميش لغات المكونات الأخرى في جغرافية إيران السياسية ومنع أبناءها من التعلم بلغاتهم.

من حق الشعب الفارسي كالشعوب الأخرى أن تكون له عادات وتقاليد يعتز بها تميزه عن الشعوب الأخرى، لكن ليس من حقه أن يروج لعاداته وتقاليده في مجتمع الأحواز ويفرضها على الشعب الأحوازي مستغلاً أدوات القوة الناعمة، ومنتهزاً للظروف المأساوية التي يمر بها ويستغل الشعب الفارسي أدوات القوة الناعمة التي تملكها الدولة وينشر ثقافته وقيمه بين الأحوازيين وهذه الأدوات يمكن تحديدها بوسائل الاعلام المطبوعة والمرئية والمسموعة ،والمدارس والجامعات، والحوزات والمراكز الدينية والمستوطنين والقوة الاقتصادية كل هذه الأدوات مجتمعة تؤدي دور وظيفي لنشر عناصر القوة الناعمة داخل مجتمع الأحواز وتكريسها على حساب ثقافة الشعب العربي وتهميشها من خلال نظرة شاملة وفاحصة لمجتمع الأحواز ويمكن مشاهدة حجم الدمار والتشويه الذي لحق به وبثقافته في الفترات التي تلت الاحتلال وبالأخص العقود الأخيرة منه بعيداً عن الشمولية ولغة التعميم، أصبحت اللغة الفارسية تستخدم على نطاق واسع في مدن الأحواز بين أبناء الشعب العربي الأحوازي وليس فقط بينهم وبين الفرس، واللغة العربية باتت

هجينة تجمع بين المفردات الفارسية والعربية وتصنع منها جمل لا يفهما إلا الشعب الأحوازي في بعض الأحيان أمّا مظهر المواطن الأحوازي في المدينة لا يختلف كثيراً عن مظهر المواطن الفارسي إذ استعاضت الكثير من الشابات الأحوازيات، عن الملابس العربية بالملابس الفارسية وبتن يتشبهن بالفتيات الفارسيات أكثر من تمسكهن بمظهرهن وأصالتهن العربية، وبتن يفضلن في كثير من الأحيان اللغة الفارسية على العربية وحال الشاب الأحوازي في المدينة لم يكن أفضل منهن إلى جانب هذا التغيير، الكثير من المضايف والمجالس العربية تبدلت إلى حسينيات أو تم هجرها،والقبيلة فقدت أدوارها الاقتصادية والأمنية والثقافية التي كانت تلعبها في مجتمع الأحواز وأخذت الدولة الفارسية مكانها في تأدية هذه الأدوار أمّا المناسبات والأعياد، العربية منها والإسلامية هُمشت ومُنعت لصالح الأعياد والمناسبات الفارسية مثل عيد النيروز الذي تُعطل فيه مؤسسات الدولة ويتم الاحتفاء به أكثر من خمسة عشر يوماً، وعيد الفطر وعيد الأضحى لا تتجاوز عطلتهما ثلاثة أيام!

هذه مأساة حقيقية يعيشها يومياً شعب الأحواز قد تصل به إلى طمس الهوية والاندثار إن لم يتم التنبه لها ومواجهتها بقوة عربية ناعمة تصد القوة الفارسية الناعمة وتحافظ على الثقافة والهوية العربية في الأحواز وقد يكون من الصعب وبعيداً عن واقع الأحواز الحديث عن المقاطعة في جميع المجالات، لكن من الضروري التنبه إلى عناصر القوة الناعمة

وأدواتها وتجنبها قدر المستطاع ومقاطعتها، والتعامل معها بحذر شديد واحتراس في أوقات الضرورة وفي نفس الوقت من المفترض تنمية عناصر الثقافة العربية في الأحواز وتطويرها لتواكب التطور والتقدم في العالم والمنطقة.

إيران فى أفريقيا

فاجأ الرئيس الإيراني محمود أحمدي نجاد العالم كله، وأرسل رسالة مطوّلة، للرئيس الأميركي جورج بوش، أصرّ فيها أن يبدو بثياب المدافع عن العالم والمستضعفين، وقدّم نفسه على أنه معلم يتلقى أسئلة أخلاقيّة من طلابه، وفي فقرة لافتة قال نجاد لبوش:ألا يحق لسكان أمريكا اللاتينية أن يتساءلوا لماذا تتم معارضة حكوماتهم المنتخبة، ويتم دعم الحكومات التي تتسلم الحكم عبر انقلابات عسكرية؟٠

شعوب أفريقيا المثابرة تستطيع أن تلعب دوراً مهما في تلبية حاجات الشعوب الأخرى والفقر المدقع حال دون تحقيق هذا الهدف السامي، ألا يحق لهذه الشعوب أن تتساءل لماذا يتم نهب مواردها الطبيعية الهائلة التي هي في أمس الحاجة إليها؟.

لم يكن حديثه عن أفريقيا اعتباطياً، بل يعكس إدراكه لخارطة التحالفات المفترضة، ورغبته في التمدد والتحدث باسمها.

هناك مسلّمة مكررة تقول إنّ القارة السّمراء التي يُنتظَر منها أن تكون سلةً لغذاء العالم، ومورد محتمل للمواد الخام، لا تجد قوت يومها، ولا تحضر في المحافل الدولية إلّا من باب مناقشة الحدْ من تأثير حروبها الأهلية وإغاثة جائعيها ومساعدة دولها لتجاوز الخلافات الوهميّة التي تعرقل مسيرة العالم، وتخفيف حدة العنف السّياسي، ويُدبر عنها العالم ولا يحتسبها في عداد أروقة الملفات الرئيسة إلا لماماً، دون انتباه لما يمكن أن يتسبب به هذا الجفاء فتهيّأت أفريقيا لتكون أرضاً خصبة لكل صاحب فكرة متمردة، أو مذهب جديد، أو حتى ديانة وليدة، فالبؤس والفقر يجعل كل قادم أفضل بكل تأكيد من مرارة الحاضر بالنّسبة لأفريقيا.

لكن هذه القارة لم تكن بهذه المأساوية، لدى النظام الإيراني، الذي رأى فيها أرضاً خصبة لنشر النفوذ والايديولوجيا، في ظل انشغال العالم عنها، وانشغال القانون الدولي عنها أيضاً، فصارت أرضاً للعبور، ومكاناً صالحاً لتحقيق أحلام تصدير الثورة، ونُصرة المستضعفين، وحائطاً لتعزيز أمن إيران الإقليمي، وتربية مصالح إقليمية، فحضّرت فيها ملعباً احتياطياً لصراعاتها، مع الغرب وإسرائيل، ومنافسيها من دول الخليج.

منذ أن بدأت إيران عهدها الجديد في بداية الثمانينات بعد ثورة الخوميني، أرادت أن تكون ضمن القوى الفاعلة في الخارطة السياسية

العالمية،دون أن تتخلى عن ثورتها التي بدأت أول ما بدأت ثورة انتصار للعرق الآري، وتربّت على كره التسمم بالغرب كما شاع حينها، إلى أن جاء الخوميني وأخذ قطافها وألبسها عباءة دينية ، وحاول بعد نجاح تحوير ثورته، تحويل الحالة الإيرانية إلى امتداد لثورات المظلومين، وانتفاضة أيديولوجية عالميّة، فمدت إيران عنقها لتطل على كل المناطق الميتة، أو المحايدة، لتتجمّع بها وتتقوى، فمن أين تبدأ، غير الأرض الخصبة المهملة!

في حوض النيل ودول البحيرات والقرن الأفريقي استغلت إيران الفشل الأمريكي، فأثبتت أمشاجها على نغمة نصرة الاستضعاف، والاهتمام بالحلفاء الجدد الذين يعاقبهم العالم سواء في السودان أو اريتريا أو موزمبيق، فانبجست بسياسات اقتصادية جاذبة، وحققت الكثير من الفتوحات، واضطرت الدول الأفريقية أحياناً إلى التنازل في ملفات استراتيجية، حتى أصبح الحديث عن قواعد عسكرية لإيران على البحر الأحمر، حديثاً، يروج بلا خجل، ولا يجد من النفي إلا النفي المذيل بعبارة وماذا لو كان لها قواعد، أليس من حقها ومن حقنا، أما إيران فإنها تتاجر بمشاعر العداء لأمريكا الذي يميّز المنطقة فى عمومها، كما تحاول تطبيق نظرية اقتصادية جديدة، ولا ينافسها أحد.

ارتبط الانفتاح الإيراني على أفريقيا بعهد الرئيس رفسنجاني، الذي حطت طائرته عام ١٩٩١ في السّودان، الذي كان يعيش عامه الثاني في ظل نظام إسلامي عسكري أيديولوجي معزول ومحاصر من قبل المجتمع الدولى، شكّلت زيارة رفسنجاني حدثاً محورياً للسودان الإسلامي الجديد، وقد كانت الزيارة حصاداً لأعوام من التواصل مع الإسلاميين السودانيين حتى قبل استيلائهم على الحكم،وتتويجاً لدعم الإيرانيين للحكومة الجديدة في السودان مثّلت الزيارة نقطة انطلاق لتوسيع دائرة الاهتمام بالقارة السمراء.

وجد رفسنجاني حفاوة شعبية كبيرة، من شعبٍ يحب الضيوف، ولم يعش حساسية طائفية بين السّنة والشيعة أبداً لأنه سني بالكامل، وفي خلفيته السطحية ولدى الحاكمين الجدد، لم تكن إيران أكثر من دولة إسلامية، وليس لها تصنيف أبعد من ذلك، على عكس ما تجده إيران في الدول التي تشهد انقسامات طائفية، فإن التخوفات تكون كثيرة، لوجود نظرية ولاية الفقيه السّياسيّة الدّينية، التي تهدد الأمن القومي بتعدد ولاء معتنقيها منذ تلك الزيارة وإيران تستغل براءة العقل الأفريقي المسلم السّني، فهو خصب يتلقي الأفكار الجديدة، دون ممانعة.

سارعت إيران بتنشيط أذرعها المباشرة والخفية، مستغلة انتشار الكثير من الموالين لإيران في غرب أفريقيا عبر بعض المنتمين لحزب

الله اللبناني فتكررت زيارة رفسنجاني للسودان عام ١٩٩٦، لكنها تمددت حينها إلى جنوب أفريقيا وكانت صلاتها مع الشيعة فيها قديمة بدليل وجود حركات شيعية وكينيا وأوغندا وتنزانيا، وزيمبابوي، وكانت تتحرك يومها وفقًا لفلسفة سياسة البناء التي بدأها رفسنجاني، وبعده عزز محمد خاتمي في زيارته لأفريقيا، كجنوب أفريقيا والسنغال ونيجيريا والنيجر، أسلوب التواصل الحضاري،وكان يطمح بجانب التعزيز الاقتصادي والحوار الحضاري، إلى تأمين دعم دولي لبرنامج التسلح النووي الإيراني، باستغلال وزن التصويت لدول أفريقيا في عهد نجاد عادت النزعات الثورية إلى المنطق الإيراني، فبعد إنشاء منظمة تطوير التجارة مع دول أفريقيا، وتعدد زياراته للقارة في ٢٠١٠ و٢٠٠٩، لزيمبابوي وكينيا ونيجيريا والنيجر، وموريتانيا، جامعاً الأيديولوجيا والاقتصاد معاً، وعمل على تنويع أدوات حضوره معتمداً بالإضافة إلى القوة الناعمة على وسائل جديدة، كما استطاعت توظيف شبكة من التفاعلات غير الرسمية لخدمة مصالحها، حيث أصبح العديد من مواطنيها ومن حلفائها، خاصة حزب الله اللبناني، يعملون في مختلف أنحاء القارة [١].

١ـ السياسة الخارجية الإيرانية في أفريقيا، شريف شعبان مبروك.

دعم الحوثيين عبر اريتريا.. وقواعد فى البحر الأحمر

الحديث عن العلاقات الإيرانية الإريترية تصاعد بعد التقارير التي تحدثت عن وصول سفينة محملة بالأسلحة الإيرانية إلى المتمردين الحوثيين في شمال اليمن عبر إريتريا، ورددت وسائل إعلام إسرائيلية كلام عن وجود قاعدة عسكرية إيرانية بحرية بالقرب من ميناء عصب الإريتري [1] وجدير بالذِكر أنّ إيران تعتبر وجود إسرائيل في أيّة مكان مبرراً لمد نفوذها إليه وكان تقرير صادر عن ستراتفور نصّ على أنّ إيران تنقل أسلحة عبر طريق يبدأ من ميناء عصب الإريتري، ويمر شرقاً حول الطرف الجنوبي من بحر العرب في خليج عدن إلى مدينة شقراء على ساحل جنوب اليمن، ومن هناك تتحرك الأسلحة براً إلى شمال مدينة مأرب شرق اليمن، وبعدها إلى محافظة صعدة على الحدود السعودية ـ اليمنية وفي أكتوبر٢٠٠٩، قال تقرير آخر إيران تنقل مؤناً للحوثيين، وصدر تقرير في ٢٩ أكتوبر ٢٠١٢، بعنوان شرق أفريقيا ميدان للصراع بين إيران وإسرائيل حول عواقب الصراع الاسرائيلى

---

١ ـنقولا ناصر، المركز الإرتري للإعلام ٢٠٠٩

الإيراني في اريتريا،وتحدّث عن اختيار إريتريا توثيق صلاتها بإيران، لأن إسرائيل مرتبطة بشكل أوثق بأثيوبيا والحلف الأمريكي، الذي لا يريد النظام الاريتري الحالي.

الإريتريون وعبر مراكز مراكز البحوث أيضاً قالوا إنّ العلاقات مع إيران عادية، على الرغم من القروض التي طلبها الرئيس الأريتري حيث كانت اريتريا حصلت على قرض ٢٥ مليون يورو من إيران في ٢٠٠٨،فإنّها لا تتفوق على العلاقات الإيرانية الأثيوبية والسّودانية، بل تقل عنهما بكثير، ويرفض الإريتريون ما قالته التقارير الأمريكية، عن وجود دائم لإيران في ميناء عصب، مقابل تأهيل مصفاة النفط الإريترية.

يقول المصري حسام سويلم: المحللون في أجهزة الاستخبارات الغربية، توصلوا إلى خلاصة مفادها أن الوجود العسكري الإيراني الكثيف في أريتريا، يشير إلى مخطط إيراني لا يستهدف فقط اختراق اريتريا والقرن الأفريقي، بل أيضاً نقل الحرب من مضيق هرمز والخليج العربي إلى خليج عدن وباب المندب، وهو الممر الاستراتيجي المهم والحيوي لناقلات النفط إلى الدول المستوردة للطاقة في أوروبا والولايات المتحدة، وبذلك وسعّت إيران تهديداتها إلى خارج منطقة الخليج ويرتبط ذلك بما أعلنه قائد الحرس الثوري عن إقامة قواعد بحرية إضافية في بحر عمان، وهي تدخل أيضاً في إطار استمرار

استعدادات إيران لمواجهة عسكرية متوقعة، في ضوء تطورات صراعها مع المجتمع الدولى بسبب الملف النووي الإيراني، كما أن التسلل الإيراني إلى القرن الأفريقي، يعني في ذات الوقت أن طهران تهدف إلى توسيع دائرة الحرب، والتسلل مجدداً إلى هذه المنطقة التى تشهد حشوداً عسكرية مثيرة للشبهات تحت ذريعة محاربة القرصنة، واحتمالات متوقعة لحدوث انفجار جديد وكبير للأوضاع في الصومال ينعكس على سائر دول القرن الأفريقي[١].

الإستراتيجية الإيرانية فى شرق أفريقيا

مركز المعلومات حول الاستخبارات والإرهاب الأمريكي، خلص في تقرير أصدره في ٢٠١٠ إلى أن استراتيجية إيران في شرق أفريقيا والدول القريبة من البحر الأحمر تهدف إلى ترسيخ نفوذها السياسي كجزء من المحور المعادي للغرب، الذي تسعى إلى إنشائه في دول العالم الثالث، وتعويض مصالحها الاقتصادية التي تفقدها في أوروبا وأمريكا وآسيا، وتنشيط المراكز الثقافية التي تنشر الفكر الشيعي، وتعزيز نفوذها، تأسيس وجود إيراني مادي على الأرض وفي البحر، قريبة من

١- حسام سويلم، الأهرام الإستراتيجي - يناير ٢٠١٠.

ميادين التنافس ذات طابع المواجهة لإيران في الشرق الأوسط، والتي قد تستخدم لتهريب الأسلحة وعمليات الإرهاب.

كثيرون بدأوا في التنبه إلى الخطر الإيديولوجي للوجود الإيراني في أفريقيا، فالنيجيريون يرفضون تدخل إيران ودعمها للإسلاميين والتشيع في الميدان السياسي النيجيري، وفي السودان بدأت حملات كبرى للتحذير من التشيع السياسي، ودعوات واضحة من الأحزاب السّياسية التقليدية، وأحزاب جديدة دخلت في حكومة البشير تدعو لفك الارتباط بالمحور الإيراني، والسّعي لتأمين العمق العربي، خاصة بعد أن انتقلت المعركة بين إيران وإسرائيل إلى العاصمة السودانية، إذ قامت الأخيرة بقصف مصنع للأسلحة الإيرانية في السودان، وضرب قافلات تهريب الأسلحة المارة عبر السودان وسيناء إلى غزة.

يقول الباحثون إن طموح إيران، مفهوم، وتمددها له أهدافه، لكن الغريب، هو ضمور العرب، وإهمال ملف أفريقيا، بعد رحيل القذافي، وتشتت مصر المنكفئة على جراحها وهي توشك على العطش بفعل السدود التي تقام على مجرى النيل، فهل تنجح إيران في الاستيلاء على البحر الأحمر، وتطوّق بذلك النفط العربي؟ وتواصل مدّ سلطانها في غرب أفريقيا، لتستحدث قنوات إنقاذ مالية، مستغلة ضعف مكافحة غسيل

الأموال في تلك المواطن؟ أم يتنبه العرب، ويدخلون في المعادلة، الإيرانية الإسرائيلية الأمريكية؟

كما أن ولاية الفقيه، كانت نظرية دينية سخّرت لبسط سلطة على الدنيا والسياسة، فإن نصرة المستضعفين كانت نظرية أخلاقية سخّرت لبسط النفوذ، فبدلاً من التسمم بالغرب يقترح الثوريون التسمم بالفرس، كل هذا يضخ الايديولوجية الدينية باسم ولاية الفقيه لتمنح إيران نفوذاً سياسياً، لكن بعد عقود من الثورة، يبدو مستقبل هذه النظرية في أفول، على الأقل على المستوى الديني، يقول محسن كديور أعتقد أننا نقترب من نهاية مرحلة ولاية الفقيه في إيران، وإن كان هناك أي مستقبل لولي فقيه، فسيكون من طهران وليس من قم، لأن إدارة المجتمع تحتاج إلى المعرفة السياسية أكثر من المعرفة الفقهية [١].

الضخّ الديني الذي كان يمنح إيران هالة ثورية، في ضمور، خاصة بعد الحرب السورية، وبعد القمع الداخلي، فهل سيتحرّك العرب الآن وفقًا لسياسة المصالح للدخول في الميدان؟.

١-الشرق الأوسط، ١٦ مارس ٢٠٠٧ .

القوة الناعمة فى نيجيريا

ضمن سياسة التمدد الشيعي الذي تقوم به السلطات الإيرانية خصوصاً فيلق القدس التابع للحرس الثوري الذي يمسك بالملفات الخارجية، تمكنت إيران من الحصول على موطئ قدم لها في نيجيريا عبر الشيخ ابراهيم زكزاكي الذي وصفه الإعلام الإيراني بزعيم شيعة نيجيريا وذكر الموقع الالكتروني الإيراني قدس أونلاين المقرب من السلطة أن عدداً من المسؤولين ورجال الدين بينهم ضباط عسكريين في الحرس الثوري حضروا حفل تكريم زكزاكي بالتزامن مع احتفالات ذكرى الثورة الإيرانية.

واعتبر الشيخ ابراهيم زكزاكي في كلمة له، انتصار الثورة الإيرانية وأفكار قائدها الخوميني أنها وصلت إلى أقصى نقاط العالم ومنها نيجيريا،معلناً أن الملايين من الناس يستلهمون اليوم أفكار الخوميني والمرشد الأعلى علي خامنئي ضد قوى الاستكبار العالمي.

وابراهيم يعقوب زكزاكي، يرأس المنظمة الإسلامية في نيجيريا التابعة للأقلية الشيعية في مدينة زاريا بولاية كادونا ولم يك للتشيع وجود في نيجيريا حتى عام ١٩٨٠، حيث بدأ إبراهيم زكزاكي باعتناق المذهب الشيعي وبدأ في نشره داخل البلاد من خلال قراءته للترجمات الإنجليزية لكتب الشيعة التي كانت توزعها سفارة إيراني مجاناً، وبعد انتصار

الثورة في إيران قامت السلطة الإيرانية بتأسيس مؤسسة دينية تابعة لجامعة المصطفى العالمية التابعة لمكتب خامنئي.

وهذه المؤسسة تعرف نفسها على موقعها الالكتروني بأنها مؤسسة تعليمية بحثية ذات رؤية دينية تمارس نشاطها على مدى عقدين من الزمان، وتخرّج منها حوالي ١٨ ألف طالب وطالبة من مختلف بلدان العالم، كما تمكّنت هذه المؤسسة من تأسيس عشرات الفروع في أرجاء المعمورة واستحداث أكثر من ١٥٠ فرعاً دراسياً لمراحل البكالوريوس والماجستير والدكتوراه، ويقود هذه المسيرة كادر علمي متخصّص مؤلف من ٢٠٠٠ أستاذ وعضو في الهيئة العلمية في الداخل والخارج.

ومن أهم سياسات المؤسسة نشر التشيع في العالم خاصة البلدان ذات الأغلبية السنية وقامت باستقطاب كثيرين من مواطني دول آسيوية وأفريقية وتستضيف العشرات من معتنقي التشيع وعائلاتهم وتهيئ لهم سكن ومعاش شهري وبعد إكمال كل منهم مرحلة دراسية معينة ترسلهم إلى بلدانهم لنشر التشيع بشكل متقطع أو دائم.

تنامي نفوذ الشيعة في نيجيريا واتساع نطاق الحركة الشيعية لدرجة بات يوصف نفوذهم بأنه دولة داخل الدولة بما يشكل تهديدًا حقيقيًا على البلاد، بحسب محللين وتعد مدينة كادونا معقلَ الحركة الشيعية الرئيسية في نيجيريا،وتُصدر الحركة الشيعية هناك صحيفة يومية واسعة الانتشار

منذ عقدين، كما ستطلق قريباً محطة إذاعية عبر موقعها على شبكة الإنترنت،عبر الموجات الرئيسية للدولة، وستطلق كذلك قناة تلفزيونية كما أن هناك العديد من الأفلام الوثائقية التي تمدح الشيعة وقادتها وتباع بكثرة للسكان المحليين في المدينة في صورة اسطوانات دي في دي، بعد ترجمتها إلى لغة الهاوسا المحلية.

كتب مارك لوبيل في تقرير نشرته بي بي سي يقول: في السنوات الأخيرة، زاد حجم عضوية الحركة واتسع نطاقها بعد أن كانت حركة صغيرة ومحدودة، في الوقت الذي تحول الاهتمام فيه إلى حركة بوكو حرام، وهي حركة إسلامية سنية تحارب من أجل إقامة دولة إسلامية في نيجيريا ويخشى البعض من نمو الحركة دون وجود رقابة من السلطات الحاكمة الحالية التي تتهمها الحركة بأنها غير جديرة بالحكم.

ويقول مارك لوبيل الذي زار معقل الحركة الشيعية في كادونا: إنه خلال اللقاء مع الشيخ زكزاكي، كان الغموض يلف بعض إجاباته، وربما كان من الواضح عدم ثقته في الإعلام، مما دعاه إلى أن يسجل هو لنفسه نسخة من الحوار خشية تحريف كلامه كما أن زكزاكي ترك العديد من الإجابات دون تفسير مما أعطى انطباعاً أن لديه ما يخفيه.

وقد خاض أنصار زكزاكي العديد من الصدامات العنيفة مع الدولة عبر عقود من الزمن، وهناك حالياً نحو ١٢٠ معتقلاً من أتباعه في سجون

الدولة ونقل تقرير عن المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى قوله إن هذه الحركة الشيعية تشكل تهديداً حقيقياً للبلاد حيث تقوم بإجراء تدريبات عسكرية لأعضائها، كما يؤكد: عند الشروع في القيام بتدريبات عسكرية، فهناك بالتأكيد نوع من الترقب لشيء ما، وهناك أيضا توقعات معينة.

وهناك تقارير صحفية عن قيام زكزاكي بتكوين ميليشيا عسكرية يقوم أعضاؤها طوال الوقت بالتدريب على القتال، وهو ما كشفه المحلل السياسي النيجيري محمد كبير عيسى لأحد المواقع الإخبارية، مما يكشف عن تدبير الشيعة لعمل ما في المستقبل كما حذر من إمكانية نشر التشيع في دول أفريقية أخرى انطلاقاً من نيجيريا التي يأتي إليها الكثير من التجار، في ظل اشتغال الشيعة بالتجارة وتأسيسهم منتدى التجارة لتعزيز نفوذهم الاقتصادي لتسهيل عملية نشر فكرهم بين التجار الوافدين.

انطلق زكزاكي في المجاهرة بطموحاته السياسية من خلال المنظمة الإسلامية في نيجيريا التي تضم عشرات آلاف الأعضاء، التي تسميها المصادر الإيرانية حزب الله في نيجيريا،وتعتبرها قراءات نيجيرية ميليشيا إسلامية مسلحة وليس مستبعداً أن تعلن المنظمة الإسلامية في نيجيريا الحرب على بوكو حرام، من منطلق مذهبي لا على أساس

التصدي للتشدد، وليس مستغرباً أن يسوّق حزب الله النيجيري ممارساته وتطاوله على الدولة بأنها من صور المقاومة لبوكو حرام.

ومن الخطأ تحميل الشخصية الأفريقية وحدها المسئولية عن انتشار التشيع في بلدان القارة، حيث يفسح الفقر والجهل اللذان تعاني منهما أفريقيا المجال أمام النشاط الشيعي القائم على منظومة متكاملة من العمل (الخيري) الطبي، والتعليمي وبالنسبة لنيجيريا أكبر دول القارة سكاناً وعدداً للمسلمين، فقد لعب نشاط حركة بوكو حرام السنية المتشددة دوراً كبيراً في انتشار التشيع، سواء من خلال صرف نظر الدولة عن أنشطة الشيعة في ظل انشغال السلطات بقتال السنة ومداهمة معاقلها، وهو ما أعطى حركة التشيع مساحة أكبر من الحرية لإدارة أنشطتها، أو عبر استغلال قيادات الشيعة التفجيرات التي تنفذها الجماعة والحرب الأهلية بين المسلمين والمسيحيين في تنفير المسلمين من السنة، وهو ما أكده إبراهيم الزاكزاكي أحد أبرز رموز الشيعة في نيجيريا في حوار مع صحيفة الدار الكويتية، حيث قال إن إحدى الحركات خدمت الشيعة وساهمت في انتشار التشيع في نيجيريا أكثر من خدمة علماء الشيعة في إشارة إلى بوكو حرام.

وثمة ظروف ساعدت على ذلك، من بينها انتشار الجهل الشديد بتعاليم الدين الإسلامي، بين الأميين أو حاملي الشهادت العليا على حد سواء

مما جعل من السهل التأثير على المسلمين، إضافة إلى انتشار الصوفية خاصة فرقتي التيجانية والقادرية، حيث وجدت إيران وحلفاؤها في الصوفية في نيجيريا تربة خصبة لنشر فكرها، نظراً لما هو معروف من قواسم مشتركة بينهما من التبرك بالأولياء والصالحين وتعظيمهم وزيارة الأضرحة والاحتفال بموالد أوليائهم، واعتماد الأوراد التى لم ترد في القرآن والسنة الصحيحة وفي الحقيقة عند بدء نشر التشيع في الثمانينات لم يكن هناك حائط صد فكري لمواجهة الشيعة، في ظل غياب أية مؤسسات عربية تعمل في مجال الدعوة أو الإغاثة باستثناء أعداد قليلة جداً من الدعاة غير المؤهلين بشكل كافٍ للقيام بدورهم أرسلهم الأزهر لنيجيريا وغيرها من البلدان الأفريقية كما منح تركز الغالبية العظمى من المسلمين في الولايات الشمالية البالغ عددها ١٩ ولاية، قادة الشيعة ميزة خاصة ساهمت بشكل كبير فى سهولة تحركهم لنشر فكهم.

وقد شهدت العلاقة بين الحكومة المسيحية والشيعة منعطفات كثيرة بدأت بتوترات في الماضي، ثم ما لبثت السلطات أن سمحت لهم بتأسيس مدارس، وفتحت المجال أمامهم لممارسة نشاطهم الدعوي بشكل كبير، ففتح الشيعة أبواب مدارسهم على مصراعيها مجاناً أمام أطفال المسلمين، ولم تتردد الأسر الفقيرة في إرسال أبنائها للتعلم الذي يغرس في عقول الصغار الفكر الشيعي، ويتم تعليمهم في عدد من المدارس اللغة الفارسية، وقد قام الملحق الثقافي الإيراني في مايو عام ٢٠٠٩

بعقد مؤتمر في جامعة لاجوس بعنوان ما هي التحديات في تعلم اللغة الفارسية وثقافتها في المجتمع النيجيري، كذلك يتم اختيار بعض الطلاب المتفوقين لإرسالهم إلى إيران لتلقي علوم التشيع هناك والعودة لنشره في البلاد، والعمل كمعلمين في هذه المدارس.

وتقوم السفارة الإيرانية في العاصمة أبوجا بطباعة كتب الشيعة باللغة المحلية الهوسا، فيما تنتشر المواقع على الإنترنت للترويج للتشيع وهناك أيضاً جريدة الميزان اليومية التي تصدر بلغة الهوسا منذ نحو عقدين، التي تعتبر القوة الإعلامية الضاربة للشيعة حيث تنشر فيها مقالات علماء الشيعة وعلى رأسهم زكزاكي،وتتبع أنشطتهم داخل وخارج البلاد وتهتم بنشر الأخبار التي تخص إيران، إضافة إلى جريدة المجاهد الصادرة بالإنجليزية، ونجحوا أيضاً في ظل شهر العسل بينهم وبين الحكومة في شراء ساعات بث في الإذاعة والتليفزيون ليبثوا من خلالها برامجهم التي تحمل أفكارهم.

كما يلعب ما يسمى الاتحاد الإسلامي للطلبة الأفارقة في إيران دوراً كبيراً في استقطاب الشباب الأفريقي بشكل عام، والنيجيري على وجه الخصوص، وتسفيرهم إلى إيران، تقول صفحة الاتحاد على الفيسبوك ليبلغ الشاهد منكم الغائب حول هذه الغرفة، وهي تتعلق بكل الأفارقة المتخرجين والمشغولين بالدراسة في الجمهورية الإسلامية في إيران.

كذلك تدعم طهران الكثير من المؤسسات لنشر الفكر الشيعي في نيجيريا ومن أهمها مؤسسة حيدر- نيجيريا التي تقول عن نفسها على موقع التواصل الاجتماعي: مؤسسة حيدر – نيجيريا: من المؤسسات المهمة في تاريخ الاستبصار في نيجيريا، ولها دور كبير جداً في نشر مذهب أهل البيت عليهم السلام في نيجيريا.

إيران فى اليمن

استطاعت إيران من خلال الزيدية بسط نفوذها في اليمن وقد نستفيض فى هذا الموضوع لأنه موضوع الساعة وأحداثه تثير شغف الكثيرين ليعرفوا حقيقة ما يحدث، ولقد بسطت إيران نفوذها فى اليمن باستخدام القوة الناعمة التي تمثلت فى :-

نشر التشيع: حيث أكد نائب رئيس الوزراء لشؤون الدفاع والأمن السابق في كلمة ألقاها أمام مجلس النواب في يونيو ٢٠٠٨ وجود نشاط شيعي في اليمن منذ الثمانينيات(١) وحاولت إيران نشر التشيع في اليمن بوسائل عدة منها، استقطاب طلاب يمنيين للدراسة في الجامعات والحوزات(٢) في إيران ودمشق وبيروت منذ فترة الثمانينيات

-١- الحوثية في اليمن -الأطماع المذهبية - مجموعة باحثين،ص ٩٩ ٢- التمدد الإيراني في اليمن - نبيل البكيري - صحيفة الشرق الأوسط،٩يوليو٢٠١٣

والتسعينيات وعن طريق استخدام شخصيات شيعية عراقية مقيمة في اليمن إلا أنه يمكن القول ان التحرك الإيراني لنشر التشيع في اليمن نشط كثيراً في التسعينيات بحكم الانفتاح الذي ترافق مع قيام الوحدة اليمنية في مايو ١٩٩٠، والسماح بالتعدد السياسي وتشكيل الأحزاب، وعدم وجود رقابة على دخول مراجع وكتب ومنشورات الفكر الاثنى عشري، يقول الطالب اليمني المقيم في إيران حسن علي العماد الذي تحول إلى الفكرالجعفري الاثنى عشري: إن الحرية العقائدية والفكرية التي عاشتها اليمن في التسعينيات لم يسبق لها مثيل في اليمن وهي المرحلة الحقيقية التي نستطيع أن نقول إن وجود الاثنى عشرية بدأ منها[١].

الخطاب المعادي لأمريكا وإسرائيل: سار حسين الحوثي مؤسس الحركة الحوثية أو ما بات يعرف اليوم بأنصار الله، على نهج الخوميني في معاداته لأمريكا وإسرائيل، واستخدم خطاباً معادياً لأمريكا وإسرائيل في محاضراته؛ الأمر الذي جعل الشباب يلتفون حوله وأوهم مريديه وأتباعه بأنه مستهدف من أمريكا وإسرائيل[٢] وذات يوم[٣] وبعد انتهائه من

١- الحوثية في اليمن مرجع سابق،ص١٠٠ ٢- الزهر والحجر التمرد الشيعي -عادل الأحمدي ، ص ١٣٨

الحوثيون- أحمد محمد الدغشي ،ص١١٠-١٠٩

إعطاء محاضرة بعنوان الصرخة ؛ طلب حسين الحوثي من الحضور أن ينادوا بصرخة هي: الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة علىاليهود النصر للإسلام كأقل شي ممكن عمله لمقاومة الاستكبار الأمريكي، ووضح أن هذه الصرخة كفيلة أن ترعب أمريكا وإسرائيل٠

وبذلك قام باستنساخ الشعار الإيراني على هيئة ما أسماه بالصرخة التي أخذت تنتشر كلما زاد نفوذهم وتمددهم وبعد مقتل حسين الحوثي استمر عبد الملك الحوثي زعيم الحوثيين على نفس النهج الإيراني، حتى إنه عرف الحركة الحوثية بأنها مجاميع شعبية تتحرك سلمياً لمعارضة الهجمة الأمريكية الإسرائيلية على العالم الإسلامي عبر شعارها الله أكبر الموت لأمريكا الموت لإسرائيل اللعنة على اليهود النصر للإسلام.

حشد الحوثيون الكثير من الشباب تحت راية هذا الشعار، بحجة قتال أمريكا وإسرائيل وأن النظام اليمني عميل وصديق لأمريكا، مستفيدين من كون التعبئة ضد إسرائيل أكثر مايحظي بقبول واسع بين مختلف شرائح الشعب اليمني، فلا يتطلب حشد الشباب فيه سوى خطابات حماسية تحرك عواطفهم وتلهب حماسهم لمواجهة أعداء الإسلام والمسلمين أمريكا وإسرائيل.

القضية الفلسطينية: اعتمد الخوميني على القضية الفلسطينية لكسب تعاطف المسلمين في مختلف أنحاء العالم،ونادى بوجوب نصرة

المستضعفين في كل مكان والوقوف فى وجه المستكبرين ومقاومة الظلم والعدوان، وجعل آخر جمعة في شهر رمضان من كل عام يوماً عالمياً للقدس.

حققت هذه الشعارات الرنانة نجاحاً باهراً وأكسبت إيران قاعدة شعبية بين شعوب المنطقة في بادئ الأمر واعتبروها قدوة يجب على الدول العربية الاحتذاء بها، لذلك تم استثمار القضية الفلسطينية مرة أخرى في لبنان مع تأسيس حزب الله، وبعد ذلك في اليمن مع الحوثيين، الذين ركزوا في خطاباتهم على القضية الفلسطينية لما لها من صدى في نفوس وقلوب المسلمين خاصة اليمنيين، ودائماً ما يصور قادة الحوثيون للعامة أن معركتهم مع إسرائيل وحتى في حروبهم ومشاكلهم مع الدولة صوروا لهم أن الحكومة تحاربهم بأمر من أمريكا وإسرائيل.

وتوفرت في البيئة اليمنية عدة عوامل أعطت لإيران مؤشراً على إمكانية نجاح قوتها الناعمة هناك، واعتمدت على هذه العوامل كأرضية خصبة لإطلاق قوتها الناعمة، ويمكن إيجاز هذه العوامل فيما يلي:

تهميش الزيدية: الزيدية طائفة متفرعة عن الشيعة وتعتبر أقلية بين بقية طوائف الشيعة، وتنتشر في المناطق الشمالية من اليمن، مثل، صعدة، وصنعاء، وعمران، وذمار، والجوف، وحجة.

أما عامل القوة الذي ارتكزت عليه إيران في استغلال الزيدية لإيجاد نفوذ لها في اليمن، فهو أن الزيدية حكمت اليمن لأكثر من ألف عام ، وكانوا أصحاب نفوذ إلا أنهم تعرضوا للتهميش والإهمال في عهد صالح، لذلك نقم كثيرون منهم على هذا الوضع، وصارو يطمحون إلى عودة حكمهم لليمن ومنهم الحوثيون وبدا ذلك بوضوح منذ قيام الثورة الإيرانية حيث جابت المظاهرات المؤيدة للخوميني وللثورة الإيرانية شوارع صعدة فور إعلان نجاح الثورة في إيران[1]، رأت إيران رغبة أتباع المذهب الزيدي في العودة للحكم وفي الطموح الحوثي للسلطة حجر الأساس الذي ستبني عليه مخططها في اليمن، خاصة مع تأثر المؤسسين للحركة الحوثية بأفكار الخوميني والثورة الإيرانية، وقيامهم عام ١٩٨٦ بتدريس مادة مخصصة عن الثورة الإيرانية ومبادئها، للطلاب الملتحقين بالدورات التدريبية في منتدى الشباب المؤمن، وبالفعل شكل هؤلاء وقود الفتنة التي قادها الحوثي.

الأمية وتدني مستوى التعليم: تأتي اليمن في المرتبة الخامسة عربياً من حيث نسبة الأمية وتشير إحصاءات اليونيسيف والأمم المتحدة أن نسبة الأمية في اليمن وصلت إلى ٦٤% في الفترة ما بين ٢٠٠٧-٢٠١١ ،

---

١ الحركة الحوثية- نايف الدوسري ،ص٦٨

وبحسب وثيقة رسمية فإن نسبة الأمية بلغت النصف في محافظات صعدة، والجوف، وحجة، و٤٠% في كل من عمران وذمار، أي أن المناطق التي مهدت للمد الحوثي-الإيراني هي الأعلى أمية.

سياسة النظام السابق: اعتمد الرئيس المخلوع علي عبد الله صالح في حكمه لليمن الذي شبهه بالرقص على الثعابين على لعبة التوازنات لإحكام سيطرته على البلاد، وقامت لعبة التوازنات على مبدأ تقوية خصم لضرب الآخر وفي إطار هذه اللعبة قام صالح بدعم الحوثيين وتقويتهم ليضعف بهم حزب التجمع اليمني للإصلاح أقوى منافس لحزب المؤتمر الشعبي العام حزب صالح نفسه، مستغلاً التضاد الفكري بين الإصلاح والحوثيين، ولم يقتصر دعمه لهم على اعتماده مبلغاً مالياً يصرف لهم من خزانة رئاسة الجمهورية، بل أيضا غض الطرف أحياناً كثيرة عن علاقاتهم المشبوهة بإيران ودعمها لهم.

وحتى في الحروب الست التي خاضتها الدولة مع الحوثيين في صعدة، كانت سياسة صالح تقوم على إضعاف الحوثيين وليس إنهاءهم، فبقاء الحوثيين كان عاملاً مهمًّا في لعبة التوازنات، فالحوثيون يواجهون المد السلفي في صعدة، بالإضافة إلى تسلمه مبالغ طائلة من السعودية تحت ذريعة مقاتلة الخطر الشيعي المقيم على حدودها، ووجد صالح في الحروب مع الحوثيين، فرصة لإضعاف الجيش والفرقة الأولى (مدرع)

التي يقودها علي محسن الأحمر، في مقابل تقوية وتجهيز مؤسسات الأمن التي يقودها أقرباؤه من أجل الحفاظ على توازن القوى في المؤسسات الأمنية والعسكرية لصالحه.

القبيلة: تُعد القبيلة إحدى أهم مكونات البنية الاجتماعية في اليمن، إن لم تكن أهمها على الإطلاق، ولعبت القبيلة دوراً حساساً في مختلف المراحل التاريخية لليمن، ولاتزال تحافظ على دورها هذا حتى اليوم، فالانتماء للقبيلة يأتي في مقدمة الانتماءات لدى الفرد اليمني خاصة في مناطق شمال اليمن، فمثلاً غادر أفراد الجيش معسكراتهم للالتحاق بقبائلهم عندما كانت في صراع مع الدولة، نفوذ القبيلة هذا ساعد الحوثي في مد نفوذه خارج مدينة صعدة مستفيداً من العداء التاريخي بين أكبر وأهم قبيلتين في شمال اليمن: حاشد وبكيل، وبسبب محاباة الدولة وتمييزها لقبيلة حاشد في عهد صالح على حساب قبيلة بكيل، قام أبناء قبيلة بكيل بدعم الحوثي، حتى انهم قاتلوا في صفوفه في الحرب الرابعة ضد الجيش والدولة، لأنهم يرون في ذلك انتقاماً من السلطة والمملكة العربية السعودية اللتين تدعمان قبيلة حاشد، واستفاد الحوثي من هذا العداء أيضاً في نشر أفكاره وبناء مراكز فكرية في المناطق المعادية لحاشد وسياسة النظام في إقصائهم، مثل قرية بيت أبو نشطان.

الظلم والفساد: بقاء صالح ورموز نظامه في السلطة ٣٣ عاماً، ولّد فساداً استشرى في كافة مؤسسات الدولة ووزاراتها بدون استثناء، بالإضافة إلى أن سياسة صالح في التقرب من كبار شيوخ القبائل وإرضائهم بالأموال والوظائف والمنح الدراسية لأبنائهم وذويهم، جعل من مؤسسات اليمن وخيراته حكراً على فئة معينة، وصنعت فجوة كبيرة بين الطبقات الاجتماعية في اليمن، نتج عن ذلك وجود شريحة واسعة من الناس ناقمة على الوضع وتنتظر الفرصة التي تمكنها من استرداد حقوقها تحت أي راية كانت.

ازداد تمدد النفوذ الإيراني في اليمن بعد ثورة فبراير نتيجة الفوضى السياسية وغياب دور الدولة حيث تمكن الحوثيون في ظل تلك الأوضاع من عقد تحالفات مع الرئيس المخلوع صالح ومن يدينون له بالولاء من رجال المؤسسات العسكرية ورجال بعض القبائل، وخاضوا حروباً في عده مناطق من اليمن حتى وصلوا إلى العاصمة صنعاء وأسقطوها في ٢١سبتمبر ٢٠١٤، وبعد إسقاطهم للعاصمة وتسلمهم زمام الأمور، شكلوا ما يُسمى باللجان الشعبية في المحافظات التي استولوا عليها بحجة المحافظة على الأمن والنظام وعينوا ممثلين لهم في كل مؤسسات الدولة من الوزارات إلى أقسام الشرطة والبنوك والمؤسسات المدنية والعسكرية والأمنية، ومكاتب المحافظات ومراكز المديريات والمحاكم والجامعات واستبدلوا بمحافظي المحافظات التي استولوا عليها،

استبدلوا بهم آخرين يوالوهم، وسيطروا على وسائل الإعلام الحكومية المسموعة والمرئية والمقروءة، ووفقاً لبعض التقارير سيطر الحوثيون وقتها على ٧٠ بالمئة من قدرات الجيش اليمني٠

أما جغرافياً: تمدد الحوثيون في المدن والمحافظات اليمنية لفرض نفوذهم وسيطرتهم عليها، وأصبحوا يسيطرون على العاصمة صنعاء بمختلف مؤسساتها ووزاراتها، ومحافظة صعدة معقلهم الرئيسي، وسيطروا على مدينة أرحب الجبلية المطلة على مطار صنعاء الدولي، ومحافظة الجوف الحدودية مع السعودية والواعدة باكتشافات في مجال الغاز، ومحافظة حجة ويوجد بها ميناء ميدي المطل على البحر الأحمر، ومحافظة الحديدة حيث يوجد ثاني أكبر الموانئ اليمنية وتشترك مع السعودية في منفذ حرض البري، ومحافظة ذمار القريبة من العاصمة، بالإضافة إلى محافظتي عمران وإب وأجزاء من محافظة البيضاء ومازالوا يقاتلون هناك للسيطرة على كامل المحافظة التي ستمكنهم من السيطرة على محافظة مأرب الغنية بالنفط والغاز الطبيعي.

ووصل النفوذ الإيراني في اليمن لدرجة أن صنعاء كانت تدار من طهران، ففي إحدى المرات أراد الرئيس اليمني عبد ربه منصور هادي إقناع الحوثيين بالموافقة على تنفيذ أحد قرارات مؤتمر الحوار الوطني،

فما كان منه إلا أن أرسل وزير الخارجية إلى مسقط كي تتوسط لدى طهران بالضغط على الحوثيين للموافقة.

المستقبل: ردود الفعل

لدى إيران ثلاثة سيناريوهات للرد على عاصفة الحزم وإنقاذ نفوذها في اليمن هى الرد العسكري: أصبح من الصعب اليوم أن تحافظ إيران على ما حققته من نفوذ سياسي وجغرافي في اليمن، فإصرارها على إبقاء نفوذها عند نقطة ما حققته قبل عاصفة الحزم يعني تدخلها العسكري في اليمن وخوضها مواجهات عسكرية عند باب المندب، وهذا الأمر يتطلب مجازفة كبيرة غير معهودة على إيران، التي تعتمد في سياستها الإقليمية والدولية سياسة النفس الطويل للتركيز على أهداف بعيدة المدى، وخوض رهان المواجهة مع قوات التحالف العربي المشتركة؛ لن يجلب لها إلا المشاكل والخسائر، خاصة مع تجربتها حرباً لثمان سنوات مع العراق في الثمانينيات، وهناك أكثر من سبب يمنع إيران من خوض الرهان العسكري أهمها:

المشاكل الاقتصادية: حيث تعاني إيران من مشاكل اقتصادية خانقة ارتفعت وتيرتها مع انخفاض أسعار النفط مؤخراً، بالإضافة إلى أن ٢٠ فى المئة من الإيرانيين يعيشون تحت خط الفقر.

الرأي العام الداخلي: يتذمر أغلب الإيرانيين من سياسة دولتهم التي تدعم جبهات قتال في سوريا والعراق واليمن، وحتى دعمها للمقاومة الفلسطينية، فهم يرون أنهم أحق بالمليارات التي تصرفها حكومتهم على هذه الجبهات في وقت هم في أمس الحاجة لهذه المبالغ، لذلك من الصعب على إيران التورط في تدخل عسكري علني وصريح في اليمن.

الاتفاق النووي: حبر الاتفاق النووى الذي يعول عليه الإيرانيون كحل سحري لجميع مشاكلهم لم يجف بعد، وعلى إيران أن تثبت للمجتمع الدولي حسن نواياها وسعيها للسلام وهذا يعني ابتعادها عن أي تدخل عسكري.

دعمها للنظام في سوريا والمليشيات العراقية وحزب الله اللبناني: لم يعد خفياً أن المقاتلين الإيرانيين وأغلبهم من الحرس الثوري يحاربون في سوريا والعراق، إلى جانب المساعدات المالية التي تقدمها إيران والتي تقدر بين مليار ومليارى دولار شهرياً للنظام في سوريا، وبين ١٠٠و ٢٠٠ مليون دولار سنوياً للميليشيات العراقية، وبين ٦٠ و٢٠٠ مليون سنوياً لحزب الله، لذلك ليس من مصلحة إيران التورط في مواجهة عسكرية.

العزلة: المواجهة العسكرية الإيرانية لعاصفة الحزم والتي تشمل السعودية وقطر والبحرين والأمارات والأردن ومصر والسودان أي

تقريبا أغلب الدول العربية في المحيط الإقليمي لإيران، سيترتب عليه قطع علاقات هذه الدول بإيران والتي وصلت لأعلى درجات التوتر إلى أجل غير مسمى، مما سيعرضها لعزله إقليمية كانت قد جربتها في فترة تبنيها لمبدأ تصدير ثورتها بالشكل العلني.

التراجع خطوة للوراء: الرجوع إلى ما قبل ٢١ سبتمبر: تمثل اليمن منطقة نفوذ مهمة لإيران حيث تطل على باب المندب وتمتلك حدوداً برية مع المملكة العربية السعودية، لكن في نفس الوقت، مازال هذا النفوذ غير مستقر بالنسبة لإيران ولم تجن ثماره حتى الآن، بمعنى آخر، إنه لم يضف حتى الآن شيئاً ملموساً ومؤثراً إلى ميزان القوة الإيرانية في المنطقة، وبذلك فقوتها في المنطقة لن تتأثر عملياً في حال رجعت خطوة للوراء في مشروعها باليمن، للملمة أوراقها والعودة من جديد والرجوع خطوة للوراء يعني عودة النفوذ الإيراني إلى ما قبل ٢١ سبتمبر ٢٠١٤يوم إسقاط الحوثيين للعاصمة صنعاء وسيطرتهم على مقاليد الحكم في اليمن، في هذه الحالة ستعمل إيران جاهدة على أن يحافظ الحوثيون على مكانتهم كفصيل مؤثر في المعادلة السياسية اليمنية، حتى يتمكنوا من إحراز نفوذ سياسي على طاولة الحوار وفي هذا الخيار تتحرك إيران على تكثيف الحملات الإعلامية ضد دول التحالف العربي وإظهار أن عاصفة الحزم تقوم بإبادة جماعية للشيعة في اليمن وأن هدفها تدمير اليمن والبنية التحتية فيها، وستعمل أيضاً على إضعاف

التحالف، وبدا هذا واضحاً من تأثيرها على باكستان بشكل أو بآخر لتتخذ موقف الحياد فقد أعلنت باكستان عن حيادها بعد زيارة وزير الخارجية الإيراني جواد ظريف إلى باكستان في ٨ ابريل، وإدخال سلطنة عمان كوسيط لإقناع دول التحالف بضرورة الحل السياسي السريع للأزمة اليمنية، وهو ما بدأت تركيا تنادي به أيضاً.

التنازل عن نفوذها والعودة إلى نقطة الصفر: الخيار الأخير هو أن تتنازل إيران عما حققته من نفوذ في اليمن وقطع علاقتها بأنصار الله نهائياً، وهذا أمر مستبعد، لعدة أسباب، فاستمرار امتلاك إيران لنفوذ في اليمن أمر بالغ الأهمية في الوقت الحالي، لأن ظروف المنطقة في هذه الفترة مواتية لتحقق إيران حلمها في لعب دور استراتيجي مؤثر في المنطقة، إن لم تكن أساساً تسعى لتكون اللاعب الأهم والأقوى، خاصة مع رغبة الولايات المتحدة فى دعم التواجد بشكل مباشر في المنطقة، وترك إدارة المنطقة للاعبين أقوياء فيها، هذا الأمر يحتم علي ايران التمسك بعلاقتها مع أنصار الله وبنفوذها في اليمن بالإضافة إلى أن الجذب الاستراتيجي لإيران نحو منطقة ما يعتمد على وجود نقطة رخوة، تستطيع إيران النفاذ من خلالها، وتشكل اليمن هذه النقطة الرخوة في شبة الجزيرة العربية، وأخيراً فامتلاك إيران لنفوذ قوي في اليمن يعزز من إحساسها بالأمان في محيطها، فصناع القرار الإيرانيون يشعرون بالخوف والتهديد لأنهم يعيشون في محيط إقليمي مختلف عنهم في

العديد من الأمور، مثل اللغة والفكر والثقافة بالإضافة إلى ذاكرة تاريخية مليئة بالحروب والعداوات ويبقى مستقبل النفوذ الإيراني في اليمن مرهوناً بالعوامل التي تجعل من اليمن نقطة رخوة يسهل اختراقها والتأثير فيها، ما دام اليمن بلداً فقيراً يعاني من الفساد وارتفاع نسبة الأمية وتدني مستوي التعليم للفرد، وتزايد نسبة البطالة عاماً وراء عام مع انعدام تكافؤ الفرص، وتهميش الأقليات، يتولد الشعور بالظلم والرغبة في الانتقام، وهذه هي البيئة الحاضنة للنفوذ الإيراني في اليمن والنفوذ الإيراني في اليمن، جاء نتيجة القوة الناعمة قبل قوة السلاح الصلبة فالقوة الناعمة هي التي صنعت الهدف الذي يقاتل في سبيله حامل السلاح، وإن كان مغلوطاً ويحتاج اليمن إلى دولة مدنية يحكمها القانون، ويتساوى أمامه الجميع، دولة مدنية تنصهر فيها القبيلة والطوائف الدينية، دولة تهتم بالنشء الجديد وتعزز انتماءهم لها أولاً قبل كل شيء، تحميهم من وقوعهم فريسة لأي تطرف.



الباب الخامس

القوة الناعمة نجاح أم فشل؟

هل نجحت القوة الناعمة مع إيران؟!

إيران بتصدير الثورة وبناء ترسانة عسكرية كبيرة والوصول إلى السلاح النووي، دخلت مرحلة فقدان التوازن عندما أصبح الحصار الاقتصادي يزيد من أعباء المواطنين، الذين صارت عملتهم مجرد قطع من الورق، ورصيد متدن، ولعل سوء إدارة الدولة، وبث الشعارات وتحويل الموارد إلى عسكرة البلد، خلقت أزمة خانقة بدأت السلطة تشعر بها حتى أن ما سرب من خلافات داخل مراكز القوة جعل الحديث عن دعم نظام الأسد بما يصل إلى عشرة مليارات دولار، موضع تساؤل ونقد،لأنه جاء مع تدني دخل الدولة وأصبح مجال استنزاف لاقتصادها، ومن العملات الصعبة، وهدر مادي غير منطقي.

الاتجاه بالاقتصاد والموارد إلى الصناعات الحربية، أضاع الاتحاد السوفيتي وقد فطنت الصين لهذا المأزق فوزعت ميزانياتها على مشاريع لا تجعل الجيش والسلاح يحتلان الأولوية، لذلك نجحت بتعدد مصادر دخلها وتوازن صرفها،إيران على العكس اعتقدت أن تحدي العالم موضوع خيار وطني يعلو على أي مصلحة أخرى، وتجاهلت أن الدول المركزية المهيمنة على الاقتصاد العالمي، إذا ما توافقت سياساتها ومصالحها،ودخلت في خصومة مع طرف ما لديها القدرة على الضغط، وربما تغيير تلك السلطات وقد جربتها في مواقع كثيرة ونجحت، ومع

إيران أصبح التأثير قاتلاً عندما انحدرت العملة وشل تصدير النفط المورد الأساسي لها،والقائمة طويلة في تبعات الهدر المالي على الجانب العسكري وحده ليتدنى دخل الفرد والأسرة، مما ينذر بانفجار داخلي قد يحوّل ربيع ثورة الخوميني إلى خريف خاصة في دولة تكرس أسطورة الإمام المخلص مع دافع فكري وتقني يبني قوته على فروض علمية مختلفة إن لم تكن تسخر من هذه الرؤى التي وصلت إلى حقائق تصدقها دولة تعيش فى عصر ما بعد عصر الحداثة.

استخدام أمريكا والغرب وحلفائهما القوة الناعمة مع إيران جاء بنتائج مهمة، أي أن صورة الحكم السابق للشاه، عندما كانت إيران الحليف المهم في وجه السوفييت، درج الشعب على استلهام كل ما هو أمريكي، ومع أن الثورة حاولت أن تلغي تلك المظاهر وآثارها بغسل الأدمغة ورفع الشأن القومي المغلف بالدين،إلا أن الثقافة القديمة لازالت بأدواتها وأشخاصها ونماذجها موجودة، وتأثيرها جعل سقف المطالب يخرج من نمط الثورة الملهمة إلى الديمقراطية والليبرالية، إلى جانب ازدراء ما هو سائد وربط مصير الإنسان بتعاليم المرشد .

فإذا كان الضغط الاقتصادي ولّد قناعة بسوء نهج الدولة، فالبديل نظام تعددي ديمقراطي يجعل للشعب حق الانتخاب الحر فى اختيار سلطته، وهذا لا توفره حكومة الملالي، وبالتالي فإن العوامل التي يراهن عليها

خصوم إيران بثورة مضادة للثورة الراهنة تدعمه مؤشرات ما يجري خلف الأسوار وأن الشعب الإيراني لم يعد يتحمل الوضع الراهن، وأن البديل ربيع مشابه للربيع العربي بأدوات تنبع من داخل إيران وشعبها.

تحويل قوة إيران إلى ضعف

يقوم هذا التصميم والمخطط على تحويل كل الشعارات والمفاخر ونقاط القوة التي تتميز بها إيران وتجويفها وإظهارها بصورة معكوسة ومضادة وقلبها وتحويلها في أذهان الرأي العام، فمثلاً يجب التركيز على ترويج إشاعات عن حالات الفساد بين أركان النظام وحالات القمع وأن هذا القمع يشبه القمع أيام الشاه وأن النظام الحاكم يبدد أموال الإيرانيين على دعم منظمات إرهابية لا تأتي إلا بالضرر على مصالح إيران ويجب إثارة تساؤل دائم عن عدم استقرار النظام في إيران وأنه غير صالح للبقاء على المدى الطويل وزرع شكوك بين النظام الحاكم في إيران وبين المنظمات المرتبطة به في المنطقة وينبغي بث معلومات تقلل من أهمية الإنجازات النووية الإيرانية.

وقد أكد مايكل آيزنشتات أن أي حملة تواصل استراتيجي كجزء من الحرب الناعمة ينبغي أن يتم وضع معايير خاصة بها بعناية، وأن تكون الشغل والعمل اليومي للإدارة الأمريكية.

القوة الناعمة في مجابهة المشروع الإيراني- الشيعي

وضع الخوميني إسقاط نظام صدام حسين هدفاً لحربه مع العراق التي استمرت ثماني سنوات اضطر فيها المرشد الأعلى لإيران إلى تجرع كأس السم ووقف الحرب بعدما أضحى نظامه هو المهدد بالانهيار نتيجة للتكلفة الكبيرة في شتى المجالات المترتبة عن طول فترة الحرب وبعد أكثر من عقد أصبح لإيران نفوذ كبير في العراق مهّده الغزو الأمريكي الذي حقق حلم الخوميني، حيث أعتلت السلطة هناك المعارضة الشيعية التي نشأ الكثير منها في طهران، وقدومها على ظهر الدبابة الأمريكية لم يجعلها تدير ظهرها لإيران وأصبحت بغداد ابتداء من هذا التاريخ ورقة في يد الإيرانيين يساومون بها على مصالحهم الإقليمية، لدرجة تجنيد مليشيات شيعية (لواء أبي الفضل العباس) للقتال مع حزب الله اللبناني إلى جانب نظام الأسد في سوريا.

هذا الدور وامتداد الأذرع الإيرانية في كل أزمات المنطقة دفع ـ كما هو متداول في الساحة السياسية الدولية وترجحه الكثير من المؤشرات- الطرف الأمريكي إلى محاولة عقد اتفاق ما مع إيران بدل حلفائها العرب وما يثير الاهتمام في كل هذا أنه عند الوقوف عند الدور العسكري الإيراني المباشر فإنه يقتصر على خبراء وبعض الكتائب من الحرس

الثوري في سوريا التي تجادل طهران بنفي وجودها، وحتى إن كان الرقم أكبر من هذا فإنه لا يمكن مقارنته بحجم المكاسب التي حققتها إيران.

من هنا يتبين عظم مكاسب القوة الناعمة التي استطاع نظام الملالي جنيها مقارنة بتواضع مكاسب القوة الصلبة طيلة العقود الماضية برغم الطاقات المادية والبشرية الكبيرة جداً التي جرى توظيفها خلال الحرب مع العراق دون أن تكلل بأي نجاح والأهم من هذا وذاك أن أدوات القوة الناعمة الإيرانية لم تقابل بأي جهود عربية حقيقية، وما دام خيار الحرب أو القوة الصلبة مكلفاً جداً في مواجهة هذا المشروع، وغير وارد في الأصل، فإن السؤال الذي يطرح الآن بإلحاح هو: كيف يمكن توظيف القوة الناعمة في مواجهة المشروع الإيراني الشيعي؟

<u>القوة الناعمة الإيرانية فى الميزان الجيوبوليتيكى:</u>

يشير عدد من الباحثين الإيرانيين إلى أن إيران بعيدة حتى الآن عن أن تكون قوتها الناعمة ذات تأثير كبير؛ إذ يؤكد الباحث الإيراني ونائب مدير معهد طهران للأبحاث والدراسات الدولية على الاعتراف بأن الطريق لايزال طويلاً لإعادة السجادة الإيرانية إلى سابق عهدها التاريخي، وإلى جعل صنع في إيران مصدر ثقة، وإلى جعل الناس تشاهد الأفلام الإيرانية أو تشتري الفن الإيراني وإيران لا تستخدم قدرات البلاد

في القوة الناعمة بشكل صحيح، ولو تم توظيفها في السياسة الخارجية والدبلوماسية لكان تأثيرها أعمق وأكبر في النظام الإقليمي والدولي.

وفي إطار تقييم مدى نجاح الحكومة الإيرانية في تطبيق الإستراتيجية العشرينية ٢٠٢٥، التي من المفترض أن تولّد قوة ناعمة هائلة لإيران، قام الباحث الإيراني جهانجر أموزجار بدراسة لنتائج الخطة الخمسية الرابعة التي انتهت عام ٢٠١٠ لتقييم مسار الحكومة وبالتالي المسار نحو ٢٠٢٥، وكانت نتيجة التقييم كما قال: تراجع من سيء إلى أسوأ والحقيقة أن القوة الناعمة الإيرانية كانت قد وصلت ذروتها في العالم العربي بحلول عام ٢٠٠٦، وبقيت صامدة حتى عام ٢٠٠٨ حيث بدأت تتراجع بشكل سريع إلى أن تدهورت مع اندلاع الثورات العربية نهاية عام ٢٠١٠/بداية ٢٠١١، ثم تعمقت مع اندلاع الثورة السورية واستمرارها ويمكن لعدد من استطلاعات الرأي أن يكون مؤشراً يدعم هذه الحقائق لعل أهمها استطلاع زغبي الذي أُجري عام ٢٠١١.

إذا ما تم الأخذ في الاعتبار أن مصاعب جمة تعترض طريق قياس القوة الصلبة لأي بلد من المفترض أنها قابلة للقياس أصلاً نظرًا للمعطيات الكمية المرتبطة بها، فإن قياس القوة الناعمة لدولة ما يصبح مستحيلاً، ناهيك عن أن الأخيرة لا تستند إلى معيار كمي في العادة حتى يمكن قياسه وعلى الرغم من ذلك يذهب البعض إلى محاولة خلق

مؤشرات يمكن الاعتماد عليها في قياس القوة الناعمة لبلد ما، فيما يذهب البعض الآخر إلى القول بأن استطلاعات الرأي قد تكون مؤشراً جيداً فى حد ذاته يعبّر عن مدى تأثير القوة الناعمة لدولة ما من عدمها رغم افتقاره أيضاً إلى قياس كمي. [١]

ولا يعني ذلك أن إيران لا تمتلك قوة ناعمة بشكل مطلق، فقد سبق وشرحنا مصادر وأدوات قوتها الناعمة، لكن ذلك يعني بالتأكيد أن إيران فشلت في أن تضع نفسها في أي تصنيف للقوة الناعمة على الإطلاق ولعل السبب في ذلك يعود إلى أنه وعلى الرغم من تمتع إيرا بمصادر متعددة لإنتاج القوة الناعمة، وعلى الرغم من توجيه هذه القوة الناعمة من خلال أدوات، عمل النظام الإيراني على تفعليها بما يخدم الأجندة الوطنية العليا للبلاد على الصعيد المحلي والإقليمي والدولي، إلا أن مدى تأثير هذه القوة الناعمة الإيرانية في الإطار الجيوبوليتيكي يبقى محدوداً لعدة معطيات، لعل أبرزها:

من الناحية الاقتصادية : فشلت إيران في تقديم نموذج اقتصادي يكون مصدراً للقوة الناعمة فلا هي قدمت نموذجاً اقتصادياً كما فعلت الصين،

١- القوة النعامة – المؤلف – ص ١٣٩-١٤٣ .

ولا هي قدمت قصة نجاح اقتصادي كما فعلت تركيا، واعتمدت على المال السهل كدولة ريعية لاستخدامه كأداة مولدة للقوة الناعمة وفي هذا الإطار، يشير الباحث الإيراني شهرام شوبين إلى أن النموذج الاقتصادي الإيراني نموذج فاشل بامتياز حتى مقارنة مع جيران إيران الصغار في الجنوب الذين انتقل إليهم عدد لا يُستهان به من رجال الأعمال الإيرانيين فقد فشلت إيران في تنويع اقتصادها أو في الاستثمار في البنية التحتية المرتبطة بالطاقة وأدى تراكم الفساد وسوء إدارة الاقتصاد وتعويم الحكومة للعمله إلى فشل ذريع ودعم هذا التقييم نتائج التحليل الاقتصادي الذي قام به الباحث جهانجر أموزجار خلال السنوات من ٢٠٠٥ وحتى ٢٠١٠ للأداء الاقتصادي لإيران مقارنة بالخطة الإستراتيجية الخمسية الرابعة٠

من الناحية السياسية : فشلت إيران أيضاً في بناء نموذج سياسي جاذب يعمل على توليد القوة الناعمة، ولم يجد أي نوع من أنواع التعاطف على عكس الحال عند حدوث الثورة الإيرانية ١٩٧٩، ولم يستطع أن يروج لإيجابياته كتركيا مثلاً، بل إن الفجوة بين النظام الثوري والمجتمع ما بعد الثورة بدأت تتسع وانعكس ذلك بشكل سلبي على صورة النظام حتى العراق الذي كان يفترض كثيرون أنه سيتأثر بالتجربة الإيرانية، لم يختر نظامًا سياسيًا مشابهًا على الإطلاق ويعتبر البعض أن الديمقراطية

الإيرانية هي ديمقراطية شكلية واقعها ثيوقراطي ومضمونها ديكتاتوري على اعتبار أن المرشد الأعلى يمتلك صلاحيات تفوق تلك التي تمتلكها أي سلطة في العالم وهو يستند إلى شرعية دينية وسياسية معًا، ويجمع إلى سلطاته صلاحيات أخرى كثيرة كما جاء في المادة ١١٠ من الدستور، ويسيطر على كل المجالس في البلاد، بعضها تابع له والبعض الآخر خاضع لنفوذه كما يعاني النظام من مشاكل هائلة في الحريات والوضوح،فأقلية مثل الأقلية السنية التي تشكّل ما بين ١٩إلى ٢٠% على الأقل من سكان إيران لا يحق لها الوصول إلى أي منصب تنفيذي رفيع وعملياً تم حرمان ما بين ٧ إلى ١٤ مليون مواطن إيراني على الأقل بشكل أوتوماتيكي وبموجب الدستور من تولي الرئاسة أو أركان الجيش أو القضاء ناهيك عن المناصب الأخرى كما بيّنت الانتخابات الرئاسية لعام ٢٠٠٩ أن النظام يعاني مشاكل هيكلية متجذرة؛ فقد أضرت هذه الانتخابات بصورة النظام الإيراني بشكل خطير في المنطقة والعالم، وكان لها بالغ الأثر في تعزيز الصورة السلبية لدى شريحة واسعة من عامة الناس وأيضاً لدى النخبة المثقفة.

من الناحية الثقافية : لا يُعد العنصر الثقافي الفارسي سواء المتعلق باللغة أو الحضارة عامل جذب أو تأثير واسع بالمعنى العام المطلق؛ إذ أن تأثيره محدود ومرتبط بشكل مباشر بمنطقة آسيا الوسطى لكن حقيقة

أن معظم شعوب هذه المنطقة من القومية التركية، وهذا يحد بطبيعة الحال من النفوذ الإيراني ٠

من الناحية المذهبية:تبقى حقيقة أن إيران تتبع المذهب الشيعي ومزجه مع القومية الفارسية وتحديداً مبدأ ولاية الفقيه، عاملاً معرقلاً لهدفها في قيادة المنطقة أو توليد قوة ناعمة كافية تخولها القيام بتحقيق هذا الهدف دون الاعتماد على قوة صلبة بل ان هذا العنصر قد يلعب في كثير من الأحيان دوراً سلبياً في تعميق عزلة إيران الإقليمية خاصة عندما تعمد إيران إلى الاعتماد على العامل الطائفي لحشد الأقليات الشيعية في المنطقة

خيبة أمل إيرانية فى الربيع العربى [١]

منذ خرج المصريون إلى الشوارع ليطالبوا بالإطاحة بحسني مبارك ودكتاتوريته التي استمرت لثلاثة عقود، وعندما كانوا يلوحون بالأعلام ويصدحون بسقوط النظام، كان هناك حاكم آخر على بعد ١٢٠٠ ميل شرقا يقوم بعقد حساباته: كيف يستغل تلك التحركات الشجاعة من أجل مصلحته الشخصية، وفي الرابع من فبراير وفي خضم المظاهرات في

١- فورين بوليسي كولين كاهل ـ ٢٥ يناير ٢٠١٢ ـ ترجمة: مركز الشعلة للأبحاث والنشر والترجمة

ميدان التحرير، خرج المرشد الأعلى للثورة الإيرانية آية الله علي خامنئي في طهران ليقدم تقييمًا للحظة الثورة التي تتكشف في مصر.

وقد تحدث في بعض أجزاء خطبته باللغة العربية ووصف الأحداث في مصر بأنها صحوة إسلامية ألهمتها الثورة الإيرانية التي اندلعت عام ١٩٧٩ ووصلت تلك الخطبة إلى آلاف المصريين عن طريق رسائل الجوال القصيرة، بل إن خامنئي زعم على صفحته الإلكترونية أنه شخصيًّا كان ملهمًا للمظاهرات الموالية للديمقراطية في شوارع القاهرة، وقارنها بالصرخات التي أطلقها الشعب الإيراني ضد الطغيان والاستبداد الأمريكي والغطرسة العالمية لم يكن خامنئي وحده الذي توقع بأن الربيع العربي سوف يوفر لإيران فرصة لتوسيع نفوذها عبر الشرق الأوسط، فقبل ذلك بفترة صرح بعض المعلقين في واشنطن أنه ربما يكون صحيحاً، فقد كتب مايكل سكوت دوران في دورية فورين أفيرز ـ وهو مسئول سابق في إدارة الرئيس جورج بوش الابن ـ محذرًا من أن كتلة الممانعة التي تقودها إيران من المتوقع لها الانطلاق مثل ابن آوى على الحالة الجريحة للمنطقة.

وفي إسرائيل، أخبر رئيس الوزراء الإسرائيلي بنيامين نتنياهو الكنيست أنه يعتقد أن أسوأ مخاوفه قد تتحق وأن إيران سوف تتلاعب بالأحداث في المنطقة من أجل توسيع نفوذها.

لكن تصريحات خامنئي وجدت آذانًا صماء بين مئات الآلاف الذين ضحوا بحياتهم في ميدان التحرير، فعندما سئل أحد متظاهري التحرير بشأن مزاعم خامنئي، رد عليه مازحًا: المصريون لم يلهموا من إيران، لكن الشعب المصري هو الذي ألهم العالم، وتلك كانت ملاحظة أكثر ذكاء من تعبيرات القائد الإيراني الأعلى نفسه، فكما قال مارك لينش كاتب الفورين بوليسي في توثيقه للثورة في كتابه الثورة العربية أن ثورات عام ٢٠١١ في مصر وفي المناطق الأخرى من العالم العربي أفرزتها عقود من الظلم والصرخات ضد أنظمة فاسدة وأن كل المظاهرات العربية أيدت بعضها البعض، وكانت بمثابة التحركات الفورية والانتفاضات التي اندلعت عبر العالم العربي، ولم يكن لإيران أي يد في ذلك.

فقد مثلت ردود الفعل في ميدان التحرير علامة على الكثير من الأشياء التي حدثت بعد ذلك، فقد حاولت إيران أن تستغل الأحداث، ولكن رياح التغيير السياسي لم تأت بما تشتهي السفن الإيرانية؛ فعندما سقط مبارك اختال القادة الإيرانيون في زهو، فقد رأوا أحد أهم حلفاء الولايات المتحدة يسقطون، ورأوا فرصة استغلال الفوضى لتقويض الأنظمة الأخرى الموالية للغرب في المنطقة، وأرادوا أن يعقدوا اتصالات مع إسلاميين في كل من مصر وليبيا ووسعوا من دائرة اتصالهم بحركات الثورة في اليمن، واستغلوا المظاهرات الشيعية في البحرين، وبدى أن القادة الإيرانيين واثقون من أن نظام الرئيس السوري بشار الأسد -

حليف طهران الأساسي في الشرق الأوسط - كان محصنًا من الموجة الشعبية بسبب موقفه الثوري تجاه إسرائيل والولايات المتحدة.

فبعد عام من الثورات يصعب أن نجد دلائل على أن إيران استفادت من الربيع العربي، بل إن المكانة الإقليمية لإيران قد تلقت صفعة مدوية؛ فباستثناء اليمن، فإن طهران عانت لبناء شبكات جديدة من النفوذ مع اللاعبين الإسلاميين الظاهرين حديثًا على المشهد، وفي الوقت ذاته تقوضت شرعية نظام الأسد بصورة كبيرة، وتم طرده من الجامعة العربية، ويترنح أمام المظاهرات التي اندلعت في كل أرجاء البلاد، وهذا بدوره خلق حالة من القلق لحزب الله الميليشيا اللبنانية التي تمثل أكبر حليف من غير الدول في المنطقة.

إن فكرة تدخل إيران في الشئون المحلية أدت أيضًا إلى تدمير جاذبية القوة الناعمة الإيرانية في العالم العربي، فقد أظهرت الاستطلاعات التي أجرتها مؤسسة زغبي الدولية في مصر والأردن ولبنان والمغرب والسعودية والإمارات أن سمعة إيران شهدت حالة مستمرة من السقوط منذ اندلاع الثورات العربية، فمنذ عامين فقط تمتعت إيران بغالبية قوية من الدعم بين الشعوب في كل تلك الدول، ولكن في يوليو ٢٠١١ انقلب المؤشر تمامًا وأصبحت غير مرغوبة في كل تلك الدول عدا لبنان.

وذلك لا يعد مجرد انتكاسة عابرة ومؤقتة لإيران، ولكنَّ تغيرًا هائلاً يمكن أن يقوض طموحات إيران الإقليمية بصورة كبرى، ولكي نكون منصفين فإن مسارات الثورات العربية لا تزال غير معلومة الاتجاه، فلا تزال هناك طائفية متصاعدة وتوترات وانتكاسات سياسية في بعض البلدان يمكن أن توفر فرصة لطهران لزيادة نفوذها، ولكن العديد من الديناميكيات الأساسية في المنطقة تفيد بأن معاناة طهران فيما يتعلق بسمعتها سوف تستمر.

فمع توجه الشعوب العربية إلى حكوماتها المنتخبة لتمثيل مصالحها، فإن قدرة إيران على إحداث حالة من السخط الإقليمي للتأثير على الشارع العربي سوف تستمر في الاضمحلال، بل إن القوى السياسية الناشئة التي تتنافس على النفوذ وعلى الأصوات في مشهد يسيطر عليه الجماهير بصورة كبرى، بما في ذلك الأحزاب العلمانية والمجموعات السنية العربية مثل الإخوان المسلمين، سوف تكون حريصة على التلويح بمؤهلاتها الخاصة بالقومية العربية وسوف تتلكأ في صياغة علاقة وثيقة مع طهران فبعد ساعات من سقوط مبارك على سبيل المثال، حرص متحدث باسم جماعة الإخوان المسلمين أن يؤكد على أن مصر ليست إيران، وأن مصر سوف تصنع نموذجها الخاص للديمقراطية طبقًا لثقافتها ولمرجعيتها الإسلامية.

كما أن الرد الإيراني الوحشي على المظاهرات التي اندلعت على أراضيها في عام ٢٠٠٩ تضع مزيدًا من القيود على نفوذها على الربيع العربي؛ فرفض النظام احترام الحقوق الأساسية للإنسان في الوقت الذي يزعم أنه يدعم التظاهرات الديموقراطية في العالم العربية هي دليل لا يقبل الدحض بنفاقه؛ كما أن استمرار الدعم الإيراني للنظام السوري وتكتيكاته الدموية ـ في اللحظة التي يواجه فيها الأسد الآن ضغوطاً متزايدة من الدول العربية ومن تركيا لإنهاء العنف والتنحي ـ فإن ذلك من شأنه فقط أن يؤكد تلك المعايير المزدوجة.

كما أن صراع القوة التقليدي في المنطقة أدى إلى تداعيات كبرى من المنافسين الإقليميين لإيران، فالطموحات النووية الإيرانية مع المخاوف المنتشرة من قيام إيران بتوسيع نفوذها في المنطقة والسيطرة على الخليج أدت إلى حالة محمومة من التسابق على شراء السلاح وعلى التعاون الأمني بين دول الخليج العربي، فقد تحركت المملكة العربية السعودية في البحرين من أجل مقاومة النفوذ الإيراني هناك.

كما أن آمال بقاء نظام الأسد في سوريا آخذة في التلاشي، وإلى جوارها آمال إيران في الهيمنة الإقليمية، فلعدة سنوات أدى التحالف الإيراني الوثيق مع سوريا إلى تقوية النفوذ الإيراني في العالم العربي، وجعل سوريا قاعدة لتمويل ودعم المنظمات الفلسطينية واللبنانية، ولكن

مع ثبات حركات المقاومة السورية في وجه نظام الأسد ومع زيادة عزلة النظام دوليًّا، فإن حليف إيران الأساسي في المنطقة أصبح عاجزًا عن الحركة.

فإذا ما سقط نظام الأسد فإن إيران ربما تحاول أن تعوضه بمضاعفة نفوذها في العراق، ولكن القومية العراقية متجذرة في البلاد وهناك شعور عميق بعدم الثقة في إيران التي دخلت معها في أكثر الحروب دموية في القرن العشرين، كما أن العراق تريد شراكة طويلة الأمد أيضًا مع الولايات المتحدة وعلاقات حسنة مع جيرانها العرب، وهي كلها أهداف لا تتوافق مع الهيمنة الإيرانية.

فبعد عام من اندلاع الثورة المصرية، تبدو آمال خامنئي قد تبخرت كما أن الاقتصاد الإيراني يرزح تحت العقوبات، ومع استمرار الربيع العربي في ترسيخ أقدامه وإنشاء حكومات ديمقراطية منتخبة، فإن إيران سوف تجد نفسها في مزيد من الانحدار على المدى البعيد.

فشل القوة الناعمة لإيران

لا تكمن أكبر مخاوف إيران في هجوم عسكري يستهدف برنامجها النووي الغامض، أو وقف إجباري لتخصيب اليورانيوم، ولكن في تعرضها لغزو ثقافي يتخذ صورة الحداثة الغربية وعلى الرغم من أن

نظام طهران يتعامل مع الثقافة في البلاد بجدية، فإنه يسيء فهم طبيعتها وآلياتها وديناميكياتها.

حزب إيراني قريب من المرشد يبشر الايرانيين بحل جميع مشاكلهم وعلى هذا فإن الاستياء الحكومي من الوضع الثقافي في إيران لا يتوقف على الإطلاق ولقد حققت الثورة السياسية التي قامت عام ١٩٧٩، هدفها في الإطاحة بنظام الشاه، لكن لم تتوقف عملية الثورة الثقافية وما زال مشروع إعادة أسلمة المجتمع الإيراني وثقافته مستمراً، إذ توضع سنوياً برامج وخطط جديدة لتغيير ثقافة المجتمع وأسلمتها ولكن يحاول النظام تحقيق المستحيل، ويؤمن بانتصار الأمل على التجربة.

وفي خطاب ألقاه عام ٢٠٠٣، صرح آية الله علي خامنئي قائلا: لا يحتاج أعداء إيران إلى مدفعية وبنادق وما إلى ذلك، بقدر ما يحتاجون إلى نشر القيم الثقافية التي تؤدي إلى فساد الأخلاق لقد قالوا ذلك مرات عديدة، وقرأت مؤخراً في الأخبار أن مسؤولاً رفيعاً في مركز سياسي أمريكي مهم قال: فلنرسل لهم بدلا من القنابل، تنورات قصيرة وهو على صواب، فإذا أثاروا الرغبات الجنسية في أي دولة، ونشروا الاختلاط غير المقيد بين الرجال والنساء، وقادوا الشباب إلى سلوك يميلون فيه بطبعهم إلى الغرائز، لن تكون هناك حاجة إلى المدفعية أو البنادق لمواجهة هذه الدولة.

اللافت للانتباه هو كيفية استخدام الحكومة الإيرانية للتعبيرات العسكرية ومصطلحاتها واستعاراتها في الحديث عن الثقافة ونظراً لأن خامنئي هو القائد الأعلى للقوات المسلحة، فهو أيضاً يعتبر ذاته القائد الأعلى للثقافة الإسلامية وهو الشخص الذي يحدد تعريفها ويمثل السلطة المعنية بتنفيذها.

الفتوى في التقاليد الشيعية هي رأي قانوني يطرحه فقيه إسلامي، آية الله، أو خبير ديني آخر، ولكل فتوى نفس الصلاحية الدينية بغض النظر عمن هو آية الله الذي أصدرها وعلى الرغم من أنه يجب على أتباع كل ملا الالتزام دينياً بفتاواه، إلا أن الفتاوى نفسها قابلة للتغيير، ولا يعتبر آيات الله معصومين من الخطأ وتعتبر فتاواهم بمثابة إعلانات عن فهمهم لإرادة الله، وليس إرادة الله نفسها وحتى آية الله الخميني كان قد نقح بعض فتاواه بعد إجراء مناقشات.

وما يراه خامنئي غزواً ثقافياً، يجب أن يعتبر حرباً واسعة النطاق في تاريخ البشرية من وجهة نظره، جيوش الأعداء لا تعد ولا تحصى وتشمل جميع أفراد المجتمعات الغربية، التي تلتزم بقيم الحداثة الليبرالية والمؤسسات الثقافية من الفنون إلى السياحة ووصل الغرب أيضاً إلى عولمة قيمه من أجل تسميم جميع الثقافات الأجنبية ولا يتعلق ذلك بالمسلمين فقط، بل وبالثقافات غير الإسلامية مثل اليابان.

ووفقا لخامنئي، يتعرض العالم الإسلامي على وجه التحديد لهجوم عنيف،حيث يحاول المستعمرون الثقافيون الغربيون تدمير أصالة المسلمين الثقافية، ويحرمونهم من إبداعها وهناك أيضاً عقول مستعمرة داخل المجتمع المسلم تعمل عن علم أو عن جهل كعميلة للغرب، يفسدون الساحة الثقافية ويلوثونها بميكروبات ثقافية غربية.

هؤلاء العملاء مثل المثقفين والدارسين والفنانين والكُتاب ينتجون القيم ذاتها التي يرغب المستعمرون في نشرها في جميع أنحاء العالم لذلك تعتبر الجماليات خطرة تماماً مثل السياسة التقليدية: ربما لا يكون من السهل إدراك خطورتها، لكن يجب أن نتأكد من أن الغرب لم يبتدعها عبثاً.

تؤمن الأيديولوجيا الإيرانية بوجوب إدارة الحكومة الإسلامية لجميع الشؤون الثقافية في البلاد، لذلك يعتقد حكام إيران أن الثقافة الغربية تخضع لسيطرة مشددة من القوى السياسية من إمبرياليين وصهاينة ويعتبرون أن العالم الرأسمالي ليس مصمماً من أجل العمل في إطار شبكة من اللامركزية، بل يرونه هيكلاً موجهاً يستغل كل مواطن ويسيطر على الدول غير المتقدمة بمعنى أن كل شيء أصبح سياسياً، وأنه ينبغي على كل فرد في المجتمع أن يثبت إذا كان معنا أو معهم وليس من السهل على المرء أن يثبت أنه مع الأيديولوجيا الحاكمة.

تتسم الآيديولوجيات الشمولية بأنها متقلبة ويمكن أن تتغير أمزجتها سريعاً، لأنه في النهاية، ليست المبادئ هي ما يحدد الأيديولوجيا، لكن أهواء الحاكم وقد يكون الولاء المطلق للأيديولوجيا الحاكمة أيضاً محفوفاً بالمخاطر، إذ تصبح عبادة الشخص مزايدة على الولاء للأيديولوجيا لدرجة أن يصبح الشخص هو المعيار الرئيس لمدى الولاء للأيديولوجيا.

كتب الفيلسوف والمؤرخ البولندي ليزيك كولاكوفسكي موضحاً سبب قتل جوزيف ستالين لأشخاص كانوا يخلصون في الولاء للفكر الشيوعي، أكثر مما قتل معارضي الشيوعية: إن هدف النظام الشمولي هو تدمير جميع أنواع الحياة الاجتماعية، التي لا تفرضها الدول ولا تخضع لرقابة مشددة منها، فيصبح الأفراد منعزلين عن بعضهم ، ويتحولون إلى مجرد أدوات في يد الدولة ويضيف كولاكوفيسكي قائلاً: أراد هؤلاء الذين آمنوا بالأيديولوجيا بجدية تفسيرها على طريقتهم، ودراسة ما إذا كانت هذه الخطوة السياسية أو تلك تتفق مع الماركسية ـ اللينينية على طريقة ستالين لكن حولهم ذلك إلى معارضين محتملين للحكومة، حتى وإن كانوا قد أقسموا على الولاء لستالين، إذ ربما يستدعون ستالين الأمس ضد ستالين اليوم ويستشهدون بحديث الزعيم ضد ذاته.

في السياق الإيراني، تبدو هذه الصورة مألوفة تماماً: لم يتمرد مير حسين موسوي ومهدي كروبي زعيما المعارضة الخضراء اللذان يخضعان للإقامة الجبرية منذ أكثر من ٤٥٠ يوماً وحتى الآن على الأيديولوجيا الإسلامية، ولكنهما انتقدا خامنئي وكان كلاهما مسؤولاً سابقاً ومؤمناً مخلصاً للجمهورية الإسلامية، لكنهما أدركا أن خامنئي انحرف عن المسار الأصلي للثورة.

وينطبق هذا أيضاً على المثقفين الذين اعتبروا ملتزمين بالفكر الإسلامي منذ ثلاثة عقود، ولكن تنظر الحكومة إليهم الآن بصفتهم عملاء للغرب، يسعون إلى اختراق المجتمع المسلم وإفساده من الداخل ومن بين الأمثلة التي شهدت بداياتها مع الأيديولوجيا الإسلامية، ولكن خيبت تصرفات الحكومة آمالها وحولتها إلى المعارضة، المخرج السينمائي محسن مخملباف والشاعر الراحل قيصر أمين بور والمفكر عبد الكريم سروش في الواقع المؤمنون المخلصون الذين يمتنعون عن الارتباط الأخلاقي أو الاقتصادي بالنظام، معرضون لأن يصبحوا مراجعين أو إصلاحيين.

لا يعتبر الإسلاميون، العصر الذهبي هو الفترة التي تسبق الاستعمار الغربي مباشرة أو ظهور الحداثة في أوروبا بل يعتبرون عهد النبوة، والخلافة الراشدة بالنسبة للسنة أو عهد الخليفة الرابع بالنسبة للشيعة

هي الفترة المُثلى فهم يعتبرون تاريخ الإسلام فترة من سوء فهم الإسلام، والإسلام انحرف عن مساره الرباني بعد فترة وجيزة من بدايته. ولا يرفضون مقاصد الإسلام وتاريخه الواقعي فقط، بل وأيضا علومه وتفسيره.

تتسم الأيديولوجيات الشمولية بأنها متقلبة ويمكن أن تتغير أمزجتها سريعا، لأنه في النهاية، ليست المبادئ هي ما يحدد الأيديولوجيا، ولكن أهواء الحاكم وقد يكون الولاء المطلق للأيديولوجيا الحاكمة أيضا محفوفا بالمخاطر، إذ تصبح عبادة الشخص مزايدة على الولاء للأيديولوجيا لدرجة أن يصبح الشخص هو المعيار الرئيس لمدى الولاء للأيديولوجيا.

إنهم يريدون أن يقدموا تفسيراً جديداً للإسلام ليس مفترضاً أن يتماشى تماماً مع عهد النبوة ونظراً لأنه من غير الممكن تفسير الإسلام دون الرجوع إلى مصادر تراثه، يتخذ هؤلاء الإسلاميون منهجاً انتقائياً في التعامل مع التراث الإسلامي وكتبه ومؤلفاته وعاداته.

ويختارون ما يحتاجون إليه اعتباطاً من أجل أجندتهم السياسية، ويتركون ما لا يخدم أغراضهم ـ بل ويجبرون الناس بين حين وآخر على نسيانه كلية وبالتالي يستخدمون القوة، ليس فقط في محاربة التأثير الثقافي الغربي، بل وفرض صورتهم عن الماضي على عقول المسلمين

في تلاعب بذاكرة وهوية المسلمين التاريخية لذلك يحاولون إعادة أسلمة المجتمع المسلم في عملية لا تنتهي مطلقاً.

لا يشتبك الإسلاميون مع الحاضر والمستقبل فقط، بل مع الماضي أيضاً إنهم يحاربون الوقت ذاته ويريدون أن يستبدلوا به الخلود الأسطوري ولا يجد التشاؤم التاريخي لدى الإسلاميين علاجاً، بل يقودهم إلى ممارسة مزيد من العنف حتى تصاب قدرتهم على استخدام القوة بالإنهاك؛ وهو ما يحدث في الوقت الحالي في إيران بعد التنفيذ الصارم للأيديولوجيا الإسلامية منذ ما يزيد على ثلاثة عقود.

ومن المثير للاهتمام أن نهجهم نحو الحداثة انتقائي أيضاً وهم لا ينكرون الحداثة بأكملها، بل يختارون منها التكنولوجيا والعلوم، ويرفضون ثقافات ورؤى عالمية محددة ويستطيع تزاوج التكنولوجيا الحديثة والتفسير الأيديولوجي للإسلام، أن يسفر عن أكثر القوى ظلاماً في عصرنا الحالي.

حاولت الجمهورية الإسلامية تحويل التراث الإسلامي إلى درع واق ضد الثقافة الحديثة ولكن لم تكن مؤسسة رجال الدين المصنع الأساسي لإنتاج التراث وحمايته مجهزة للقيام بالمهمة وبالفعل لم يكن رجال الدين أنفسهم حراساً ناجحين للتراث حيث تعاني عقلية رجال الدين من

الانغلاق على مدار عدة قرون كما أن خطابهم تكرار لما قاله علماء مسلمون منذ قرون عديدة.

وبعد قيام الثورة لم تكن المؤسسة الدينية متلائمة مع متطلبات وتوقعات الحكومة الإسلامية المقامة حديثاً، وقد خضعت لتحديث هيكلي وبيروقراطي، لكنها أخفقت في تحديث أسس فكرها ومعالجة تصلب التراث وخصصت الحكومة مليارات الدولارات لمؤسسة رجال الدين ومؤسسات دينية أخرى، لكي تتمكن من العمل بدلاً من المؤسسات الثقافية الحديثة.

جدير بالاهتمام أن وزارة الاستخبارات والحرس الثوري ، احتفظا بسيطرة فعلية على الإنتاج الثقافي، لكن لم تكن النتيجة مرضية للنظام تتجاهل الأيديولوجيا الإسلامية، كما هو الحال في الأنظمة الشمولية الأخرى، الطبيعة التلقائية التي تتميز بها الثقافة لم يكن من الممكن أن تنشأ أي من الثقافات الدينية الماضية نتيجة لتخطيط اجتماعي وثقافي من السلطة الحاكمة.

ولكن تتطور الثقافة طبيعياً دون وعي وبحرية وبالتالي أدى تدخل الحكومة في الثقافة من أجل قيادتها نحو توجه معين، إلى تدميرها.

من خلال فرض الرقابة على الإنتاج الثقافي، وإشهار إفلاس دور النشر والمؤسسات الثقافية الخاصة، واعتقال الكُتاب والفنانين، وتسريح الدارسين من الجامعات، وإلغاء التخصصات الإنسانية من الدراسة الأكاديمية، وتغيير الكتب الدراسية إلى كتب دينية، أخفقت الحكومة حتى الآن في إنتاج نوعها الخاص من الثقافة المقبولة.

تُعرف الأيديولوجيا الإسلامية ذاتها بأنها ضد الحداثة أكثر من كونها مع بناء مجتمع أصلي وعملي. يزيد عمر الاسلام السياسي على القرن، ولكن لا توجد رؤية واضحة لما قد يبدو عليه مجتمع إسلامي على طراز المدينة الفاضلة ونظراً لأن طبيعة الأيديولوجيا تعتمد على الإنكار بصورة أكبر، فإن قوتها تكمن في التدمير.

والمفارقة في أيديولوجيا الاسلام السياسي هي أنها تمنح دوراً محورياً للثقافة والقوة الناعمة، لكن في مواجهة القوة الناعمة الغربية تعتمد على القوة الصلبة العدوانية ودون اللجوء المحتمل إلى العنف، يميل المجتمع المحلي إلى الخضوع لتأثير الثقافة العالمية الحديثة أكثر من الانعزال عنها.

تريد الأيديولوجيا الإسلامية أيضاً أن تستبدل الشريعة بالثقافة، لذلك من وجهة نظرها، يصبح الفقهاء الدينيون حراساً على الثقافة ويتولون

مسؤولية فرض النموذج الشرعي على المجتمع وترى الأيديولوجيا التي تنظر إلى الأفراد فقط من وجهة نظر شرعية أنهم جميعا مذنبون.

الثقافة تنقذ الأمة فقد كان الإسلاميون في إيران محظوظين عندما تولوا السلطة عام ١٩٧٩، لكن لم يحالفهم الحظ في حكم مجتمع ينعم بالحداثة بالفعل لو لم تكن إيران حديثة منذ عقود قبل قيام الثورة الإسلامية، لكان فرض النموذج الإسلامي للمجتمع أسهل بكثير وعلى الرغم من الضغط اليومي الممنهج على الشعب في إيران، فإن نسبة تزيد على ٤٠ في المائة منه تشاهد القنوات الفضائية المحظورة، ويستخدم أكثر من ٢٠ مليون شخص الإنترنت ولم تعد الثقافة السرية في إيران سرية، بل مرئية ومنتشرة ويقف الجيل الجديد في وجه النموذج الثقافي الذي تفرضه الحكومة وحتى الطبقات الدينية في المجتمع تميز بين إسلام الدولة والإسلام المدني، وتفضل الأخير باستمرار ويشعر رجال الدين غير المنتمين إلى الحكومة، بأنهم أقرب إلى الشعب من هؤلاء الموجودين في السلطة فلقد فقدت الدولة الإسلامية وإسلام الدولة مصداقيتهما حتى داخل الحرس الثوري الجمهوري، وطبقة رجال الدين.

لم تأخذ الجمهورية الإسلامية في اعتبارها أن أسلمة المجتمع لها حدود لكنها أفرطت في استخدام سلطتها السياسية ويريد الشباب والنساء أن يتطلعوا إلى المستقبل، لكن الحكومة تريد أن تجعلهم سجناء الماضي.

في ظل حكم الجمهورية الإسلامية تزايدت أعداد المدارس التي تُعلِم اللغات الأجنبية في إيران بصورة هائلة، لأن الأسر حريصة على تقديم التعليم العلماني لأبنائها.

وعلى الرغم من الرقابة المفروضة، يحرص الناس كثيراً على قراءة الكتب الغربية أو مشاهدة الأفلام الغربية أو الاستماع إلى الأغاني الغربية إذا كان نظام بهلوي الملكي يحاول تحديث المجتمع من أعلى، فإن الجمهورية الإسلامية دون قصد، نجحت في تحديث المجتمع من الداخل وإذا كانت الحداثة رفاهية بالنسبة للطبقتين العليا والمتوسطة في شمال إيران في عهد الشاه، فقد أصبح في إمكان كل قرية نائية الدخول على شبكة الإنترنت ومشاهدة القنوات التلفزيونية الفضائية، والحلم بحياة أفضل والتفاعل الثقافي مع الثقافة العالمية.

أعلنت الحكومتان الإسلامية المصرية والتونسية المنتخبتان حديثا، أنهما لا ترغبان في تقليد النموذج الإيراني، ويعني ذلك أن إيران لم تعد مثالاً يحتذى في العالم الإسلامي.

تحتاج إيران إلى الاعتماد على أموالها وقوتها العسكرية، من أجل حشد المسلمين خلف قضيتها وفي حين تفشل القوة الناعمة للجمهورية الإسلامية، توجد حاجة غير مسبوقة لأن يندمج الشعب الإيراني في

الثقافة والاقتصاد العالميين، ويترك ذلك باب الأمل مفتوحاً على مصراعيه أمام حدوث تغيير سياسي في إيران.

ما بعد الفشل

كشرت إيران عن أنيابها الطائفية في المنطقة بعدما فشلت في استخدام القوة الناعمة التي اعتمدتها منذ سنوات لتحقيق ما عجزت عنه في المنطقة بالقوة الصلبة أو العسكرية للتوغل والتدخل في دول الجوار العربي عندما اصطدمت بعد ثورة ١٩٧٩ مباشرة، مع العراق ونجم عن ذلك حرب استمرت ٨ أعوام (١٩٨٠-١٩٨٨م)، مما جعلها تعيد النظر في وسائل تصدير الثورة وتنفيذ مشاريعها الاستراتيجية في منطقة الجوار العربي، مما قادها إلى الخطة ب متمثلة في استخدام أداة القوة الناعمة لتحقيق ما فشلت القوة الصلبة في تحقيقه، وهي في واقع الأمر السياسة والأداة التي تستخدمها في عراق ما بعد صدام حسين مع عدم تغييب القوة الصلبة بشكل كامل.

فمنذ وصول تيار الإصلاح إلى منصب الرئاسة ممثلاً في الرئيس الأسبق سيد محمد خاتمي، بدأت طهران تركز على الانفتاح على العالم ودول الجوار العربي تحديداً، من خلال استخدام القوة الناعمة والدبلوماسية الاقتصادية والثقافية كوسيلة لذلك الانفتاح هذا الانفتاح توج بالأحداث على الساحة اللبنانية.

صنعت إيران لها شعبية كبيرة في الشارع العربي بعد حرب يوليو ٢٠٠٦، وتحسنت صورتها كثيراً في الأوساط العربية خاصة بين بعض شرائح المجتمع التي يغلب عليها العاطفة الجيّاشة وتعطشها للانتصار على الكيان الصهيوني الذي يحتل الأرض ويقتل الشعب في فلسطين المحتلة واستمرت هذه الصورة الإيجابية لإيران حتى جاءت موجة الثورات العربية و ما يسمى بالربيع العربي.

أيدت إيران الثورات العربية في تونس ومصر واليمن وليبيا ودعت بقية الشعوب العربية خاصة في منطقة الخليج العربي، إلى الالتحاق بهذه الموجة التي صورتها طهران على أنها امتداد للثورة الإيرانية التي حدثت في عام ١٩٧٩، وأطلقت عليها مسمى الصحوة الإسلامية نعم، لقد ركبت إيران موجة الثورات العربية، عدا السورية، وتم صياغة الخطب والخطابات السياسية بطريقة ذكية لجذب مخيلة الشعوب العربية السنية نحو النموذج الفارسي الشيعي ففي لقاء جمعه بقيادات القوات الجوية الإيرانية في ٨ فبراير ٢٠١٢، تحدث مرشد الجمهورية الإيرانية علي خامنئي عما يسمى بالربيع العربي واصفاً إياه بالصحوة الإسلامية وقال إن القيم الإسلامية تتحرك نحو هوية حقيقية وراسخة وقوية يمكن تمييزها في وجه الاستبداد، مضيفاً أن الشعارات التي كان الشعب الإيراني يرفعها انتشرت اليوم في المنطقة، والدول التي كانت تتبع الجبهة المتغطرسة أصبحت الآن تقف إلى جانب الشعب الإيراني وتردد

شعاراته ومطالباته وفق ديمقراطية إسلامية وليست غربية وتأكدت طهران أن معظم الشعوب العربية أصبحت أكثر وعياً وإدراكاً للعبة الإيرانية وأن القوة الناعمة لم تعد تجدي نفعاً فتوجهت نحو التركيز على الصراع المذهبي الطائفي من خلال إعمال هذا العنصر في العراق وسوريا ولبنان وتحريك جماعات وأحزاب مسلحة كحزب الله اللبناني في لبنان وتدخله في الصراع القائم في سوريا، وكذلك الجماعات الحوثية في اليمن والميليشيات الشيعية في العراق.

إضافة إلى ذلك،ركزت إيران على إثارة الأقليات الشيعية في دول الخليج العربي خاصة في البحرين والسعودية وفي هذا الاتجاه استماتت إيران في محاولتها تصوير الثورتين السورية والعراقية كصراع طائفي تقوده القاعدة وجماعات التكفير وتستهدف الشيعة والأقليات الدينية في الشرق الأوسط وقد يصل لهب هذه النار إلى دول الاتحاد الأوروبي.

إن ثورة الشعب السوري ضد نظام بشار الأسد ثم التطورات على الساحة العراقية واقتراب النار من ثياب إيران، أسقطت ورقة التوت الإيرانية الناعمة فلقد كانت إيران ولا تزال تسعى إلى إجهاض هاتين الثورتين، فلم يقف دعمها عند المال والعتاد بل تجاوز ذلك إلى تورط عسكري على الأرض من خلال مجموعات الحرس الثوري وفيلق القدس تحديداً وكذلك ميليشيات أبو الفضل العباس، وعصائب أهل الحق، وفيلق

ذو الفقار وغيرها من المجموعات المسلحة المحسوبة على طهران وشاهد الجميع مقاطع الفيديو التي تظهر جميعها، قتال الجنود الإيرانيين إلى جانب النظام السوري بل وإدارة المعركة على الأرض وقيادتهم لفصائل من الجيش السوري أيضاً وعلى الساحة العراقية، نجد أن إيران متورطة هناك أيضاً وقد فضح ذلك خسارة طهران العديد من جنودها وطياري الحرس الثوري في العراق.

وهذه الحقائق الدامغة أثرت بشكل مباشر، في صورة إيران لدى الشعوب العربية إذ برز وجه السياسات الطائفية والتهييج المذهبي متزامناً مع محاولات الجانب الإيراني، على المستويين الرئاسي والقيادي، للعزف على وتر محاربة الإرهاب العالمي في محاولة واضحة للتقرب من الدول الغربية، والولايات المتحدة الأمريكية تحديداً، تحت مظلة محاربة الإرهاب والتطرف.

والأخطر من ذلك تجاهل القوى الغربية للإرهاب الإيراني المنظم والمرتبط بشكل مباشر بالنظام الإيراني ممثلاً في فيلق القدس التابع للحرس الثوري والميليشيات الشيعية المدعومة مالياً وتدريبياً من قبل طهران.

والأمر المثير للدهشة، أن الحكومة الأمريكية لا تزال تتقرب من النظام الإيراني وهناك تصريحات متبادلة ومتناغمة حول ضرورة تعاون

واشنطن وطهران في مجال مكافحة الإرهاب، بينما صنفت لجنة السياسة الخارجية في الكونجرس الأمريكي أخيراً إيران كأكبر دولة داعمة للإرهاب المنظم في العالم.

وعلى الجانب الغربي، يبدو أن التصعيد الطائفي في المنطقة يخدم مشاريع سياسية لقوى كبرى تستهدف المنطقة واستقرارها وبالتالي يمكن أن يدفع الصراع الطائفي إلى إنجاح هذه المشاريع والتعجيل بتحقيقها على أرض الواقع إن لم تتنبه دول المنطقة لذلك وتعمل على إفشالها قبل استفحال الأمر ولعل ظهور تنظيم الدولة الإسلامية في العراق والشام (داعش) أحد الأدوات الحديثة للمخططات السياسية التي تطبخ ضد المنطقة.

تستطيع دول المنطقة توظيف خسارة إيران ورقة القوة الناعمة من خلال إفشال مشروعها البديل وأعني هنا المشروع الطائفي.

تفتقر إيران لعناصر بديلة في المنطقة العربية، فليس هناك ثقافة مشتركة كبيرة أو عنصر لغوي أو عرقي وتختلف عن دول الجوار العربي بتبنيها رسمياً الفكر الشيعي الإثناء عشري بينما يطغى المذهب السني على معظم دول الجوار العربي والإسلامي.

لذا فيجب على العرب المندفعين نحو ركوب موجة التهييج الطائفي إعادة النظر في مواقفهم والتفكير ملياً في مدى جدوى هذا الانقياد خلف المشروع الإيراني بوعي أو بدون وعي والتركيز على أن الخلافات مع طهران سياسية في المقام الأول وإن حاول النظام الإيراني إضفاء الصبغة المذهبية عليها لكسب مؤيدين في الداخل العربي وتجنيدهم ضد أوطانهم بدعوى انتهاك حقوق الشيعة ونحو ذلك.

بعبارة أكثر دقة، تهميش النزعة الطائفية ومحاربتها بل وتجاهلها تماماً يؤدي إلى انكفاء إيران إلى الداخل ومواجهة استحقاقات داخلية كثيرة وحاسمة حاولت طهران الهروب منها إلى الخارج لأكثر من ثلاثة عقود تحت فزاعة العدو الخارجي لكن لا بد في نهاية المطاف من هذه المواجهة المصيرية.

إن انحسار القوة الناعمة الإيرانية في المنطقة العربية والإسلامية وإفشال مشروع طهران الطائفي يقود في نهاية المطاف إلى مواجهة إيران لمشاكلها الداخلية، خاصة إذا تم سد كل الثغرات التي تتسرب من خلالها إلى الداخل العربي والعالم الإسلامي السني.

لقد جاءت التحركات المكثفة للجماعات السنية المسلحة في إقليمي كردستان وسيستان وبلوشستان واستهدافها لأعضاء حرس الحدود والحرس الثوري الإيرانيين، مربكة للنظام الإيراني خاصة بعد قيام جيش

العدل البلوشي باختطاف خمسة من أعضاء الحرس الثوري الإيراني في المناطق المتاخمة للحدود الإيرانية الباكستانية، وكذلك موجة الإعدامات وأحكام المؤبد السياسية التي نفذها النظام الإيراني ضد السجناء الأكراد والعرب.

كذلك تهمة التأثر بالحركة الوهابية أصبحت التهمة الرئيسة لأبناء السنة والجماعة في إيران، بل وتعدى الأمر إلى قيام أمين لجنة الأمن القومي والسياسة الخارجية في البرلمان الإيراني باتهام السعودية بشكل مباشر وصريح بتحريك الجماعات البلوشية المسلحة.

من جانب آخر، أدى اضطهاد الشيعة العرب في إقليم خوزستان (عربستان) وسلبهم حقوقهم الثقافية والسياسية والخدمات الحيوية في مدنهم وقراهم الغنية بالنفط إلى المزيد من الصراع بين الأحوازيين والسلطة المركزية في طهران، كما برزت موجة تسنن بين العرب في إيران ولعل من أبرز أسباب هذا التحول أن انتماءهم المذهبي لم يشفع لهم أمام النزعة العرقية القومية الفارسية.

وفي المجمل، تحاول إيران تارة إخماد أي تحرك داخلي خاصة للشعوب غير الفارسية داخل جغرافية إيران وتفضل تارة أخرى التهدئة خشية تحرك شعبي على المناطق التي تقطنها أقليات عرقية ومذهبية، مما قد يصعب على النظام السيطرة عليها بسهولة بسبب طبيعة الأرض

الوعرة ومتاخمتها للمناطق الحدودية مع باكستان وتركيا والعراق، لذا فإن قيام النظام بمطاردة هذه المجموعات داخل حدود تلك الدول خاصة باكستان والعراق قد يقود إلى توتر في العلاقات معها، لاسيما في مثل المستجدات التي تعصف بدول الجوار الإيراني خاصة العراق وأفغانستان.

تحولت الصورة الإيجابية لإيران خاتمي إلى صورة سوداوية دموية طائفية لدى معظم من انخدع بإيران في السنوات الماضية، على الرغم من وصول رئيس يوصف بالمعتدل إلا أن تعقيدات السياسة الخارجية والتطورات على الساحة الإقليمية أكبر بكثير من نجاح القوة الناعمة وسياسات الثعلب.

ففي أفغانستان، فشلت قوة إيران الناعمة في النموذج الأفغاني حين دعمت إيران الأقلية الشيعية (الهزارة) هناك والتي تشترك معها في الجانب اللغوي والديني والثقافي بالكتب والقنوات التلفزيونية والأفلام وبرامج ثقافية تبادلية ومنح دراسية لأبناء الأقلية طيلة السنوات التي أعقبت سقوط نظام طالبان عام ٢٠٠١، إلا أن ذلك كله لم يقنع المجتمع الشيعي في أفغانستان بسبب مخاوفه من عودة حكومة طالبان وبالتالي فضّل دعم القوات الأجنبية بدلاً من منح فرص أكبر لإيران وترويج ثقافة معاداة الغرب.

وعلى المستوى العربي، أسهمت حقيقة خسارة ورقة القوة الناعمة في تراجع الصورة الإيجابية لها وانتشر عداء واضح بين الشعوب العربية تجاه إيران بسبب تورطها في قتل الشعبين السوري والعراقي باصطفافها إلى جانب النظامين الحاكمين هناك وتورطها أيضاً عسكرياً على الأرض ويستمر تراجع صورة إيران على المستوى الإقليمي والدولي بعد وصول الرئيس روحاني إلى السلطة حيث لم يستطع بسياسته الانفتاحية أن يحسّن صورة بلاده في الخارج.

ويشير تقرير ميداني للمركز الأمريكي بيو للأبحاث، إلى أن صورة إيران في المنطقة اهتزت وتنامت النظرة السلبية تجاهها بشكل ساحق في عدد من البلدان لا سيما مع مشاطرة أغلبية دول منطقة الشرق الأوسط وذلك مقارنة مع الوضع الذي كان سائداً قبل ست سنوات.

وتحاول إيران تعويض ذلك بالتركيز على الجانب الدبلوماسي بدلاً من التصادم مع الغرب من خلال نجاحها في الوصول إلى اتفاق موقت مع القوى العظمى فيما يتعلق ببرنامجها النووي الذي يستهدف كسب الزمن لإنتاج السلاح النووي وبالتالي الدخول للنادي النووي الدولي إضافة إلى ذلك تلعب إيران بورقة أخرى وهي عزفها، إلى جانب الدول الغربية، على نغمة الإرهاب والجماعات الإرهابية في سوريا مما أدى إلى تقارب ملحوظ قد يزداد خلال الفترة القليلة المقبلة، خاصة إذا نجحت طهران في

الوصول إلى اتفاق دائم حول ملفها النووي بعد أن تم تمديد الاتفاق المبدئي لمدة أربعة أشهر.

المشكلة التي قد تضع إيران في موقف محرج مع الدول الأوروبية والولايات المتحدة الأمريكية تتمحور حول الخلاف الجاري بين روسيا وتلك الدول فيما يتعلق بالأزمة الأوكرانية الأمر الذي قاد روسيا إلى التلويح أكثر من مرة بورقة الاتفاق مع إيران في حالة تأزم الأمر في العلاقة بين الطرفين خاصة بعد حادثة إسقاط طائرة ركاب ماليزية في الأجواء الأوكرانية وتوجيه أصابع الاتهام نحو روسيا والقوى المتحالفة معها في الداخل الأوكراني.

<u>الدروس المستفادة من التجربة الإيرانية</u>

من الضروري التوقف وبتعمق أمام النظام السياسي الفريد من نوعه في العالم الذي يجمع بين المؤسسات الديمقراطية الدستورية والمؤسسات الدينية والثورية: مكانة المرشد الأعلى، حيث يكرس الدستور الإيراني ولاية الفقيه، مما يجعل المرشد العام يتمتع بوضع متميز يشرف بصفة مطلقة على السلطات التشريعية، التنفيذية والقضائية، وحسب الدستور الإيراني المعدل، فإن المرشد الأعلى يضطلع بإحدى عشرة مهمة تبدأ بتعيين السياسات العامة لنظام الجمهورية الإسلامية إلى تعيين القادة العسكريين بما فيهم القائد العام

لقوات حرس الثورة الإسلامية ومروراً بتعيين رئيس مؤسسة الإذاعة والتلفزيون، أي ترتكز بيده سلطات تعيين العسكريين، مع إخضاع وسائل الإعلام لقبضته.

وفي كثير من الأحيان، فإن رئيس الجمهورية الذي ينتخبه الشعب لا يتمتع إلا بالرتبة الثالثة في السلم الرئاسي لصانعي القرار في السياسة الخارجية الإيرانية، بعد كل من المرشد الأعلى ومجمع تشخيص مصلحة النظام، الذي يتولاه رافسنجاني وفي حالة الملف النووي الإيراني، فإن المجلس الأعلى للأمن القومي الإيراني، الذي يتشكل من الاستخبارات، الحرس الثوري، مؤسسة الإرشاد ورئيس الجمهورية، هي التي تمسك بإدارة الملف، مع التركيز على أن السمة العامة للنظام السياسي الإيراني الحالي، يسير لصالح المحافظين،بمفهوم النخبة الدينية: المرشد الأعلى على خامنئى ،والسياسية، رئيس الجمهورية محمود أحمدي نجاد، الذي دعمته الحوزة العلمية في قم، بالرغم من أنها معروفة بالحوزة الصامتة.ويضاف إلى النخبة السياسية سيطرة النواب المحافظين في مجلس الشورى، من المؤمنين بإدراك قائم في البيئة الدولية أساسه نظرية الاستكبار والمستضعفين التي وضعها الخوميني، وفي الوضع الراهن لا تزال الولايات المتحدة الأمريكية هي الشيطان الأكبر التي تتحالف مع الصهيونية لاستضعاف الشعوب الإسلامية، والبديل لهذا الوضع إقامة حكومة إسلامية عالمية عادلة، تجمع المستضعفين في

الأرض، ومؤشرات هذه النظرية، تكمن في السلوك العملي لأحمدي نجاد، الذي يرفض كل الامتيازات المتعلقة بمنصب رئيس الجمهورية، بما فيها فكرته بتحويل الطائرة الرئاسية إلى الخطوط الداخلية، على أساس أن قيمتها المالية ضخمة ولا يصح التمتع بأموال الشعب لأغراض شخصية حتى وإن كان هو ذاته رئيس الجمهورية،كما طالب بتخفيض الراتب المخصص لرئيس الجمهورية وهي نفس الصورة التي ألفها الشعب الإيراني عنه عندما كان رئيساً لبلدية طهران، حيث رفض السكن الوظيفي اللائق في أرقى أحياء طهران، وأصر على بقاءه في الحي الشعبي الفقير، وهو ما جعله محل احترام وتقدير الأغلبية في الشارع الإيراني جعلته يفوز في الاستحقاقات الرئاسية على منافسه رافسنجاني، المعروف بالإصلاحي والتوددي في سياسته الخارجية تجاه واشنطن، لأن ثقافة البازار والاستثمار تتطلب التكيف مع المؤسسات المالية والنقدية التي يديرها الغرب.

ولا تزال ذاكرة المحافظين الإيرانيين يختزلون موقف أحمدي نجاد عندما قام بانتزاع الصورة الإعلانية من شوارع طهران لأحد السلع الإيرانية التي تظهر لاعب كرة القدم البريطاني دافيد بيكام ، واعتبر ذلك من قيم العولمة التي تمس بقيم الثورة والدين ويبقى أن نشير إلى أن تحالف المحافظين في إيران يزداد قوة في التراضي والتجانس بين المرشد الأعلى وأحمدي نجاد، حيث تلقى هذا الأخير تنشئته السياسية

الأولى في بداية ثورة خوميني على يد على خامنئى عندما كان رئيساً للجمهورية، خصوصاً في مداومته على ملتقى الخميس ، وفي وقتها كان أحمدي نجاد يقوم بافتتاح الجلسة بتلاوته للقرآن الكريم قبل بداية محاضرة خامنئى، كما أصبح من المقربين إليه في حلقاته الخاصة عندما أصبح مرشداً للثورة بعد وفاة الخوميني، كما ساعده على تولي رئاسة بلدية طهران، وهو ما جعل خامنئى يستثمر في أحمدي نجاد الذي وجد فيه صوره شبابه، لأن خامنئى عاش تجربة الصراع الكبير بين الثورة والشيطان الأكبر في مرحلة الثورة الأولى، مثلما يعيشها الآن أحمدي نجاد وفضلاً عن ذلك فإن أحمدي نجاد متشبع بقيم الثورة التي اكتسبها في نضاله الطلابي وانضمامه الباكر لإلى الحرس الثوري، وهو ما حاول الإعلام الأمريكي استغلاله باعتباره كان أحد الطلبة الناشطين في احتلال السفارة الأمريكية في طهران ليلة سقوط شاه إيران.

هذا هو أهم متغير في البيئة الداخلية، الذي يمكن أن يحدد لنا صور المستقبل لإدارة الأزمة النووية بين طهران وواشنطن أما المتغيرات الخارجية، فيمكن إدراج البعض منها كأوراق بيد كل طرف، ومنها: ورقة النفط وورقة العراق لصالح إيران والورقة الإسرائيلية لصالح واشنطن، مع عدم إغفال الدور الذي يمكن أن تقوم به كل من موسكو وبكين.

يمكن القول إن الخلافات الإيرانية- العربية الحديثة، قد بدأت مع ذيول الصراع الصفوي-العثماني، ثم القاجاري-العثماني ورغم أن المعركة العسكرية حُسمت لصالح العثمانيين بعد أن خسرت إيران المعركة في جالديران عام ١٥١٤، فإن الصراع الثقافي الإيراني- التركي، والتنافس السني- الشيعي، استمرا في العراق بالذات حتى زوال الدولة العثمانية مع نهاية الحرب العالمية الأولى ورغم كل التهم الموجهة للدولة العثمانية والأتراك، فإن العثمانيين كانوا في الواقع يحاربون على الجبهة الشيعية والسنية معاً، خاصة في القرن التاسع عشر، عندما قاموا بتصفية الحركة الوهابية والدولة السعودية الأولى.

وكان العراق على الدوام بؤرة الصراع الرئيسية لأسباب مختلفة، وأدى اعتماد العثمانيين بسبب صراعهم مع إيران الشيعية، إلى زيادة الاعتماد على السُنة في العراق، وتحاشي تجنيد الشيعة، أو إشراكهم في شؤون الحكم فكانت هذه السياسة من أسباب الانقسام الطائفي، وتكريس الخلاف.

ثم بدأت المرحلة الثانية من العلاقات العربية- الإيرانية باستلام رضا شاه حكم إيران عام ١٩٢٦، والملك فيصل الأول حكم العراق عام ١٩٢١، والملك عبدالعزيز آل سعود حكم المملكة العربية السعودية عام ١٩٣٢ أما تركيا العثمانية فقد ألغيت فيها الخلافة عام ١٩٢٤ وخرجت

رسمياً من صراعات المنطقة، خاصة منطقة الخليج والجزيرة، بعد قرون طويلة من الوجود والتأثير في العراق والإحساء والحجاز.

شهدت هذه المرحلة، بين الحربين العالميتين، تجارب العرب والإيرانيين والأتراك في بناء الدولة الحديثة المستقلة وفي كل هذه الدول، خاصة العراق وإيران اشتد التعصب القومي، الذي تم على حساب الأقليات القومية والمذهبية في البلدين مهما كان حجم هذه الأقليات، كالشيعة في العراق مثلاً.

أهم المصادر والمراجع

١- الأبعاد الجيوستراتيجية للسياستين الإيرانية والتركية حيال سوريا، علي حسين باكير .
٢- صحيفة روز الإيرانية، ١-٦-٢٠٠٨.
٣- التشيع العلوي والتشيع الصفوي -علي شريعتي .
٤- إيران والفكر الإقليمي- محسن رضائي بازتاب.
٥- النفوذ الإيراني الناعم في القارة الأفريقية -عوض عثمان ٠
٦- مشروع الشرق الأوسط الكبير- وليد عبد الحي .
٧- مستقبل المكانة الإقليمية - وليد عبد الحي عام٢٠٢٠ ٠
٨- الأبعاد التاريخية للعلاقات العربية-الإيرانية- خليل علي حيدر ٠
٩- إكتشاف القوة الناعمة الإيرانية- القدرات و حدود التأثير- علي حسين باكير٠
١٠- عدة صحف ومجلات عربية ودولية منها (جريدة الشرق الأوسط السعودية- جريدة الأخبار اللبنانية - مجلة ذي نيويوركر- جريدة وول ستريت ٠
١١- القوة الناعمة جوزيف ناي .
١٢- أمريكا انعطاف استراتيجي مؤجل لكنه قادم- منذر سليمان .
١٣- هل يكون التصوّف هو القوّة الناعمة لاختراق الإسلام لسماحة الشيخ علي خازم.

١٤- أمريكا تعد الميدان ضد إيران - محمد عبد الحليم .

١٥- الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات- بروس بمبر ٠

١٦- موقع www.muslim.net و www.attajdid.info و www.wikipedia.org...

١٧- دور القوة الناعمة في الحرب النفسية على إيران - مايكل آيزنشتات ٠

١٨- عقيدة الصدمة- نعومي كلاين.

١٩- الحرب الناعمة على إيران - مايكل آيزنشتات.

٢٠- القوة الناعمة في الحرب النفسية على إيران- مايكل آيزنشتات.

٢١- الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات- بروس بمبر ٠

٢٢- ثورة تويتر.. أحلام أمريكا في إيران - ماكسيمان فورت ٠

٢٣- فهم الصوفية واستشراف أثرها في السياسة الأمريكية – تقرير مركز نيكسون - تعريب د. مازن مطبقاني .

٢٤- عدة مقالات لكل من ميلشتاين - منذر سليمان - محي الدين الحليبي - سيمور هرش- ماكسيمان فورت - مايكل آيزنشتات - محمد ثروت- لجلاسماتن ودوران٠

٢٥- القوة الناعمة - جوزيف ناي٠

٢٦- كتاب إرث من الرماد تاريخ CIA

٢٧- عقيدة الصدمة - نعومي كلاين٠

٢٨- الديمقراطية الأمريكية وثورة المعلومات - بروس بمبر

٢٩- الإمبريالية،وبرجنسكي في كتابه الرؤية الإستراتيجية أمريكا وأزمة القوة العالمية.

٣٠- التواطؤ مع الغزاة - موسى الأشخم.

٣١- استراتيجية الفوضى:الإمبريالية والإسلام- محمد حسين كاتب.

٣٢- حدود الدم -رالف بيتر.

٣٣- امبريالية بروح إنسانية- سيلفا توري.

٣٤- الاغتيال الاقتصادي للأمم جون بركنز- ترجمة مصطفى الطناني.

٣٥- أنظمة السلطة- تشومسكي.

٣٦- مفارقة القوة الأمريكية - جوزيف ناي الابن - ترجمة :محمد توفيق البجيرمي.

٣٧- ثورات القوة الناعمة في العالم العربي - علي حرب.

٣٨- وثائق أساسية من تاريخ لبنان الحديث- د. عبد العزيز نوار

٣٩- العولمة الجديدة والمجال الحيوي للشرق الأوسط : مفاهيم عصر قادم - د. عبد العزيز نوار.

٤٠- الحوثية في اليمن -الأطماع المذهبية - مجموعة باحثين .

٤١- التمدد الإيراني في اليمن -نبيل البكيري.

٤٢- الزهر والحجر التمرد الشيعي- عادل الأحمدي.

٤٣ـ الفاعلون غير الرسميين في اليمن ـعادل الشرجبي٠

٤٤ـ فهمي هويدي،اللامعقول في اليمن٠